

كيف تكسب قلوب الناس



الشيخ محمود المصري
أبو عمار

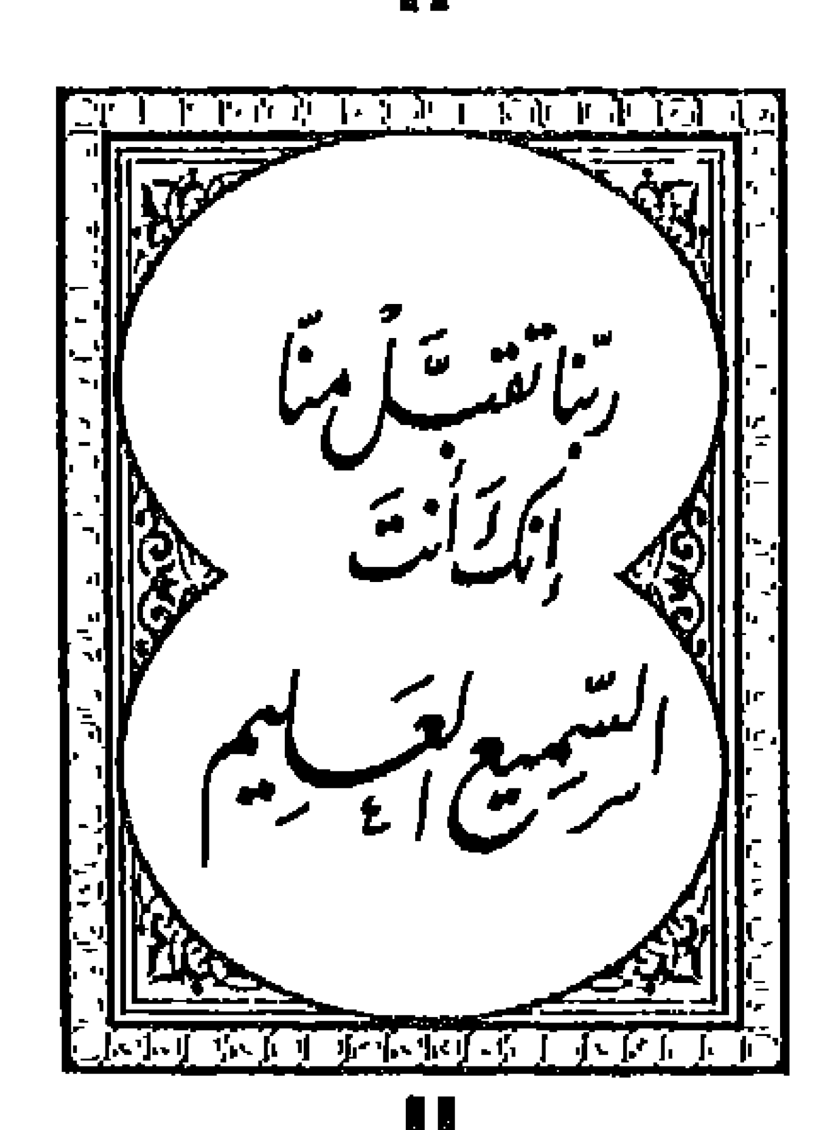
مكتبة الصفا



السحر الحلال

كيف تكسب قلوب الناس؟

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١١٨٨٤

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٧ ميدان الأزهر أمام الجامع الأزهر القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

السحر الحلال

كيف تكسب قلوب الناس؟

الشيخ

محمود المصري

أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فمازال فضل الله العظيم الكريم يتوالَى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب الدينية المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالَى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز سواء كان كاملاً أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو الموضوع، كآيات الأحكام وغيْر ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف والتى عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتى قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله - عز وجل - لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسُنة، قولاً وفعلاً، نصًّا وفَهمًا وعملاً.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب، كموطإ الإمام مالك، وصحيح الإمام البخارى، ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم وغيْرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ روايةً ودرايةً وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة بشتى

الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله - عز وجل- فى كتابه وسنة رسوله ﷺ ، فى صور شتى ما بين المطول والمختصر، رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم وأحسن إلينا وإليهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو كتاب «**السحر الحلال.. كيف تكسب قلوب الناس؟**»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى نرجو من الله - عز وجل- أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين. إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين



كيف تكسب قلوب الناس؟

كيف تكسب قلوب الناس؟

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[3].

فإنه ما من أحدٍ إلا وهو يتمنى أن يكون محبوبًا بين الناس وأن يشعر بحب الناس له ..... ولذلك لما جاء الرجل إلى رسول الله ﷺ يسأله ويقول له: دُلنى على عملٍ إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال له النبى ﷺ: «**ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس**»[4].

* **بل وهذا هو الصحابى الجليل أبو هريرة ﷺ يقول للنبى ﷺ**: يا رسول الله ادع الله أن يُحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٢٣).

فقال ﷺ: «**اللهم حبِّب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبِّب إليهم المؤمنين**».

قال أبو هريرة: فما خُلق مؤمن يسمع بى ولا يرانى إلا أحبنى[١].

* **بل إن الله (جل وعلا) إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: «إنى أُحب فلانًا فأحبَّه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول: إن الله تعالى يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض ..»**[٢].

* فعلى الرغم من أن الإنسان يكفيه أن يفوز بمحبة الله (جل وعلا) ومع ذلك فإن الله يضع لهذا العبد القبول فى الأرض حتى يسعد بحب الناس له من حوله أيضًا.

* **فالشاهد**: أن من الناس من يُحسن فن الوصول إلى القلوب بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة والأخلاق السامية والسلوكيات الراقية .. ومنهم من لا يُحسن فن الوصول إلى القلوب .. فرأيت أن أكتب هذه الرسالة القصيرة والتى هى بعنوان: «**السحر الحلال**» لنتعلم من خلالها كيف نكسب قلوب الناس من حولنا ؟

* أسأل الله (جل وعلا) أن يجعلنا ممن أحبهم الله وأحبهم الناس وأن يجمعنى وإياكم بهذا الحب فى ظل عرش الرحمن يوم القيامة .. إنه ولى ذلك والقادر عليه... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
أبو عمار

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٩١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب.

الاستعانة بالله (جل وعلا)

ولا بد أن نعلم يقينًا أننا لن نستطيع أن نفوز بمحبة الناس إلا إذا فُزنا بمحبة الله (جل وعلا) . . فمن أحبه الله وضع له القبول فى الأرض.

ونحن نعلم يقينًا أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء . . فهو القادر على أن يجعل قلوب العباد تحبك وتميل إليك ولذا قال الحبيب المصطفى ﷺ : «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله..**» (١).

ومع ذلك فلا مانع من أن نأخذ بعد ذلك بالأسباب التى تجعلنا نفوز بمحبة الناس . . وهى التى سأذكرها لحضراتكم فى هذه الرسالة القصيرة.

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

الاعتراف بالفضل وحفظ الجميل

نحن نعلم جميعًا أن الناس قد جُبلوا على حب من يحفظ الجميل ولا يجحد فضل الناس عليه بعد فضل الله (جل وعلا).

فقد قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» [1].

وحفظ الجميل جميل . . ولا يحفظ الجميل إلا صاحب القلب الجميل.

الاعتراف بالفضل وشكر صاحبه

لقد جُبل الإنسان على حب من يعترف بفضله ويشكره عليه ويثنى عليه ثناءً حسنًا . . فلا أحد يستغنى عن الشكر أبدًا.

كما قيل:

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد
لعزة مُلك، أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره
فقال: اشكرونى أيها الثقلان[2][3]

* **قال أبو حاتم بن حبان البستى رحمه الله تعالى:** «الواجب على المرء أن يشكر النعمة، ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته، إن قدر فبالضِّعف، وإلا فبالمثل وإلا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده، مع بذل الجزاء له بالشكر. وقوله: جزاك الله خيرًا. وقال أنشدنى علىُّ بن محمد:

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (١٩٥٥) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠٨٨٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

(٢) الثقلان: الجن والإنس.

(٣) «روضة العقلاء» (ص٢٦٣).

علامة شكر المرء إعلان حمده

فمن كتم المعروف منهم فما شكر

إذا ما صديقى نال خيرًا فخاننى

فما الذنب عندى للذى خان أو فجر (١)

*** منزلة الاعتراف بالفضل:**

لهذه الصفة منزلة جليلة لما يعود منها من خير على المجتمع بأسره حيث يؤدى ذلك إلى استقرار هذا المجتمع وتآلف أفراده وتشجيع ذوى الفضل أن يستمروا فى تفضلهم الذى يلقى الاعتراف من الآخرين، ولما كان من طبع الإنسان أن يهشَّ إذا نُسب إليه الخير، وتوجه إليه بالشكر، كان الاعتراف بالفضل باعثًا على مرضاته، بعد مرضاة الله تعالى، لأن من يشكر الناس فإنما هو فى الحقيقة يشكر المولى الذى أجرى الخير على أيديهم، وقد جاء فى الحديث: أن «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»(٢).

ويفهم من ذلك أن من يشكر الناس فإنما يشكر الله عز وجل أيضًا، والشكر لله يزيد فى النعمة ويورث الرضا(٣).

حافظ على الشكر كى تستجزل القسما

من ضيع الشكر لم يستكمل النعما

الشكر لله كنزٌ لا نفاد له

من يلزم الشكر لم يكسب به ندما (٤)

* ولا يكون المرء شاكرًا لله، حتى يكون شاكرًا للناس، كما جاء فى

(١) روضة العقلاء (٣٥٣، ٣٥٤).

(٢) صحيح، وقد تقدم.

(٣) نضرة النعيم (٢/٣٩٨).

(٤) روضة العقلاء (ص٢٦٣).

الحديث: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[١].

قال الخطابى - رحمه الله - فى شرح حديث: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»: «هذا الكلام يتأول على وجهين:

أحدهما: أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس، وترك الشكر لمعروفهم، كان من عادته كفران نعمة الله، وترك الشكر له سبحانه.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه، إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر»[٢].

وحين اقترض رسول الله ﷺ من عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى قبل حنين، رَدَّ إليه القرض بعد الغزوة، وقال له: «**بارك الله لك فى أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الوفاء والحمد**»[٣].

* فينبغى أن نعترف بفضل الناس من حولنا وأن نشكرهم على كل ما قدموه لنا، . . . فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صُنِع إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ فى الثناء**»[٤].

* * *

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨١١) كتاب الأدب، وأحمد (٧٨٧٩) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٧١٩).

(٢) «معالم السنن» للخطابى (٥/٥٧).

(٣) صحيح: رواه النسائى (٤٦٨٣) كتاب البيوع، وابن ماجه (٢٤٢٤)، وأحمد (١٥٩٧٥) أول مسند المدنيين رضى الله عنهم أجمعين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٣٥٣).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٣٥) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٦٨).

النبى ﷺ يُعلم الأمة حفظ الجميل

ولقد كان النبى ﷺ يُعلم الأمة هذا الخُلق العظيم (حفظ الجميل).

* فها هو ﷺ يحفظ الجميل لربه (جل وعلا) ولا ينساه أبدًا.

* عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه كان يقول فى دبر كل صلاة حين يُسلم: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه له النعمة، وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»**. وقال: كان رسول الله ﷺ يهلل بهن دُبر كل صلاة)[١].

* **بل كان ﷺ يقول: «.. لا أُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**[٢].

* وها هو يحفظ الجميل لخديجة رضي الله عنها، فحين استأذنت هالة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة[٣]، فارتاح لذلك[٤]، فقال: **«اللهم هالة بنت خويلد»**[٥].

وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: **«أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»**[٦].

* **عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:** ما غرت على نساء النبى ﷺ، إلا على خديجة. وإنى لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ، إذا ذبح الشاة،

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٩٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٨٦) كتاب الصلاة.

(٣) استئذان خديجة: أى صفة استئذانها لشبه صوتها بصوت أختها، فتذكر خديجة بذلك.

(٤) فارتاح لذلك: أى اهتز لذلك سرورًا.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة.

فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»، قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنى قد رُزقت حُبها» (١).

* **وها هو يحفظ الجميل للمُطعم بن عدى.** . فإنه حين اشتد أذى المشركين لرسول الله ﷺ وهو فى مكة، نزل فى جوار المطعم بن عدى، فحمل المطعم بن عدى سلاحه للدفاع عن رسول الله ﷺ، مع أن المطعم ابن عدى كان مشركًا، فلما جاءت غزوة بدر، قال النبى ﷺ فى أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدى حيًّا، ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى (٢) لتركتهم له» (٣).

* **وها هو يحفظ الجميل لأبى بكر الصديق** رضي الله عنه.

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمنَّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أُخوة الإسلام ومودته لا يبقين فى المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبى بكر» (٤).

وقال النبى ﷺ: «ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها إلا الصدِّيق، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعنى مالُ أحد قط ما نفعنى مالُ أبى بكر، ولو كنت متخذًا من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله» (٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨١٦) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) يعنى بالنتنى: الأُسارى.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣١٣٩) كتاب فرض الخمس.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٦١) كتاب المناقب، وابن ماجه (٩٤) فى مقدمة سننه، وأحمد (٧٣٩٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٦١) بدون: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها إلا الصديق فإنا له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة؟»، فهى زيادة ضعيفة، انظر ضعيف الجامع (٥١٣٠).

* **وها هو يحفظ الجميل للأنصار ﷺ ويوصى الناس بهم خيرًا:**

قال ﷺ : «من أحب الأنصار أحبه الله ومن أبغض الأنصار أبغضه الله»(١).

وقال ﷺ : «إن الناس يهاجرون إليكم ولا تهاجرون إليهم، والذى نفسى بيده، لا يحبُّ الأنصار رجلٌ حتى يلقى الله؛ إلا لقى الله وهو يحبه، ولا يبغضُ الأنصار رجلٌ حتى يلقى الله، إلا لقى الله وهو يبغضه»(٢).

قال ﷺ : «آية الإيمان حُب الأنصار، وآية النفاق بُغض الأنصار»(٣).

وقال ﷺ : «لا يبغض الأنصار رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر»(٤).

قال ﷺ : «إن الأنصار قد قضوا الذى عليهم وبقى الذى عليكم فاقبلوا من مُحسنهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم»(٥).

وقال ﷺ : «استوصوا بالأنصار خيرًا»(٦).

وعن ابن عباس ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفًا بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيها الناس إن الناس يكثرون وتقلّ الأنصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام، فمن ولى منكم أمرًا يضرُّ فيه أحدًا أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم»(٧).

وعن هشام بن زيد قال: سمعت أنس بن مالك يقول: مرَّ أبو بكر

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (١٦٣) فى مقدمة سننه، وأحمد (١٠١٣٠) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩٥٣).

(٢) حسن: رواه أحمد (١٥١١٢) مسند المكيين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٧٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٤) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٦) كتاب الإيمان.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٩٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥١٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٦) صحيح: رواه أحمد (١٣١١٦) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٥٩).

(٧) صحيح: رواه البخارى (٣٨٠٠) كتاب المناقب.

والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وسلم منا [١].

فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، قال: فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية بُرد قال: فصعد المنبر - ولم يصعده بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى [٢]، وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»** [٣].

*** وها هو صلى الله عليه وسلم يأمرنا بحفظ الجميل لكل الناس من حولنا:**

*** عن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعو له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»** [٤].

وبالمثال يتضح المقال

وها هو النبى صلى الله عليه وسلم يضرب لنا المثل فى جزاء من يحفظ الجميل من الأمم السابقة.

*** عن أبى هريرة** رضي الله عنه **أنه سمع النبى** صلى الله عليه وسلم **يقول: «إن ثلاثة فى بنى**

---

(١) أخرجه البخارى (٣٧٩٩)، والنسائى فى الفضائل (٢٤١)، قال الحافظ فى الفتح (٧/ ١٢١) قوله: (ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وسلم) أى الذى كانوا يجلسونه معه، وكان ذلك فى مرض النبى صلى الله عليه وسلم فخشوا أن يموت من مرضه فيفقدوا مجلسه فبكوا حزنًا على فوات ذلك.

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٧/ ١٢١): قوله (كرشى وعيبتى) أى بطانتى وخاصتى.

قال القزاز: ضرب المثل بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذى يكون فيه نماؤه، ويقال: لفلان كرشى منثورة أى عيال كثيرة، والعيبة بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة: ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، يريد أنهم موضع سره وأمانته.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٩٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥١٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) حسن: رواه أبو داود (١٦٧٢) كتاب الزكاة، والنسائى (٢٥٦٧) كتاب الزكاة، وأحمد (٦٠٧١) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠٢٠).

إسرائيل: أبرص[١] وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم[٢]، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص فقال: أى شىء أحبُّ إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس. قال: فمسحه فذهب عنه قذره. وأُعطى لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. قال: فأى المال أحبُ إليك؟ قال: الإبل قال: فأُعطى ناقة عشراء[٣].

فقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس. قال: فمسحه فذهب عنه وأُعطى شعرًا حسنًا. قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأُعطى بقرة حاملاً، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أى شىء أحبُّ إليك؟ قال: أن يرد الله إلىَّ بصرى فأُبصر به الناس قال: فمسحه فردَّ إليه بصره قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأُعطى شاةً والدًا[٤]. فأنتج هذان وولد هذا[٥]. قال: فكان لهذا واد من الإبل. ولهذا وادٍ من البقر. ولهذا وادٍ من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته.

فقال: رجلٌ مسكين. قد انقطعت بى الحبال[٦] فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرًا أتبلغُ عليه فى سفرى. فقال: الحقوق كثيرةٌ. فقال له: كأنى أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرًا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن

---

(١) أبرص: قال فى القاموس: البرص بياض يظهر فى ظاهر البدن، لفساد مزاج. برص، كفرح، فهو أبرص. وأبرصه الله.

(٢) يبتليهم: أى يختبرهم.

(٣) ناقة عشراء: هى الحامل القريبة الولادة.

(٤) شاة والدًا: أى وضعت ولدها، وهو معها.

(٥) فأنتج هذان وولد هذا: هكذا الرواية: فأنتج، رباعى وهى لغة قليلة الاستعمال. والمشهور نتج، ثلاثى. وممن حكى اللغتين الأخفش. ومعناه تولى الولادة، وهى النتج والإنتاج، ومعنى ولد هذا، بتشديد اللام، معنى أنتج. والنتاج للإبل، والمولد للغنم وغيرها، هو كالقابلة للنساء.

(٦) انقطعت بى الحبال: هى الأسباب وقيل: الطرق.

كابر [١]. فقال: إن كنت كاذبًا، فصيَّرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع فى صورته، فقال له مثل ما قال لهذا. وردَّ عليه مثل ما ردَّ على هذا. فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى فى صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين وابن سبيل. انقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك - بالذى رد عليك بصرك - شاةً أتبلغ بها فى سفرى.

فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلىَّ بصرى فخذ ما شئت، ودع ما شئت. فوالله لا أجهدك اليوم [٢] شيئًا أخذته لله. فقال: أَمسِك مالك. فإنما ابتُليتم. فقد رُضى عنك وسُخط على صاحبيك» [٣].

لمن نحفظ الجميل؟

* إننا يجب علينا أن نحفظ الجميل وأن نعترف بفضل الله (جل وعلا) أولاً وآخرًا . . فهو الذى خلقنا ورزقنا وهدانا وأنعم علينا بنعمه الكثيرة التى لا تُعد ولا تُحصى.

مهما كتبنا فى عُلاك قصائدًا
بالدمع خُطَّت، أو دم الأجفانِ
فلأنت أعظم من مديحى كله
وأجلُّ مما دار فى الحسبانِ

* ويجب أن نعترف بفضل نبينا محمد ﷺ الذى جعله الله سببًا لخروجنا من الظلمات إلى النور . . فمن سار خلفه واتبع هُداه وصل إلى الجنة ومن عصاه فقد أبى.

---

(١) إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر: أى ورثته من آبائى الذين ورثوه من آبائهم، كبيرًا عن كبير، فى العز والشرف والثروة.

(٢) لا أجهدك: معناه لا أشق عليك بردِّ شىء تأخذه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٦٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٩٦٤) الزهد والرقائق.

قال ﷺ: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى».

قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟

قال: «من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»(١).

* ويجب أن نعترف بفضل آبائنا وأمهاتنا.

فقد أمرنا الله (جل وعلا) ببرهما فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٢)

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾(٤).

وقال ﷺ: «الوالد أوسط أبواب الجنة»(٥).

* وكذلك يجب أن نعترف بفضل سلفنا الصالح ومشايخنا وعلمائنا الذين تعلمنا على أيديهم .. وكل من أسدى إلينا معروفًا.

* قال أبو حاتم بن حبان البستى رحمه الله تعالى: «الواجب على المرء أن يشكر النعمة، ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته، إن قدر فبالضِّعف، وإلا فبالمثل وإلا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده، مع بذل الجزاء له بالشكر. وقوله: جزاك الله خيرًا. وقال أنشدنى علىُّ بن محمد:

علامة شكر المرء إعلان حمده
فمن كتم المعروف منهم فما شكر

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (١٨٣٥) كتاب الإمارة.

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٣) سورة الإسراء: الآيتان: (٢٣، ٢٤).

(٤) سورة لقمان: الآية: (١٨).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (١٩٠٠) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٣٦٦٣) كتاب الأدب، وأحمد (٢٦٩٨٠) من مسند القبائل، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٤٥).

إذا ما صديقى نال خيرًا فخاننى

فما الذنب عندى للذى خان أو فجر (١)

اللئيم أول من يُضيع الجميل

واعلم أن اللئيم أول من يضيع الجميل، بل متى رأى منك فضل مَنٍّ كان أول من يناصبك العداء، بل قد يناصبك العداء ولو لم تمن عليه، فلا تترك الجميل، ولكن داره، لتَسلم منه.

قال الإمام ابن حزم - رحمه الله -: «وابذل فضل مالك لكل من سألك، أو لم يسألك، ولكل من احتاج إليك، وأمكنك نفعه، وإن لم يعتمدك بالرغبة، ولا تشعر نفسك انتظار مقارضة على ذلك من غير ربك عز وجل، ولا تبنِ إلا على أن من أحسنت إليه أول مُضرٍّ بك، أو ساعٍ عليك، فإن ذوى التراكيب الخبيثة يُبغضون - لشدةِ الحسد - كل من أحسن إليهم، إذا رأوه فى أعلى من أحوالهم»(٢).

* وصدق من قال:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم

ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا (٣)

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا

* * *

---

(١) روضة العقلاء (٣٥٣، ٣٥٤).

(٢) «الأخلاق والسير» لابن حزم (ص ١١٧).

(٣) اليد: النعمة والإحسان.

الرفق واللين

لا شك أن الناس جميعًا يحبون كل من يرفق بهم ويحلم عليهم وينفرون من الإنسان إذا كان فظًّا غليظًا ولو كان من أعبد أهل الأرض.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا [1] غَلِيظَ الْقَلْبِ [2] لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [3]﴾ [4].

قال الإمام البغوى فى تفسير هذه الآية: «﴿لِنتَ لَهُمْ﴾: أى سهلت لهم أخلاقك، وكثر احتمالك، ولم تسرع لهم بالغضب فيما كان منهم يوم أُحد» [5].

لم أرَ مثل الرفق فى لينه
أخرج للعذراء من خدرها
من يستعن بالرفق فى أمره
يستخرج الحية من جُحرها [6]

*** حقيقة الرفق:**

إن الحلم والرفق من الأخلاق السامية التى يفتح الله بها القلوب ويُلين بها الأفئدة . . . ولذا كان ينبغى على كل مسلم أن يتحلى بهاتين الصفتين ليفتح الله به القلوب فإن قلوب العباد تميل إلى صاحب القلب الرحيم الذى

---

(١) فظًّا: أى جافيًا.

(٢) غليظ القلب: أى قاسيه.

(٣) لانفضوا من حولك: أى انصرفوا عنك.

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٥) «تفسير البغوى» (١/ ٣٦٥).

(٦) حياة الحيوان (١/ ٢٧٥).

يرفق بكل من حـوله. . . وتنأى عن صاحب الـقلب الغليظ الذى لا يرحم من حوله ولا يرفق بهم ولا يحلم عليهم.

*** الرفق يُعين على حصول المقصود:**

الرفق شفيع لا يُرَدُّ فى طلب الحاجات، ولك أن تعلم أن الطريق الضيق بين جدارين، الذى لا يتسع إلا لمرور سيارة واحدة فحسب، لا تدخلها هذه السيـارة إلا برفق من قائدها وحذَر وتوقٍّ، بينمـا لو أقبل بها مسـرعًا وأراد المرور من هذا المكان الضيق لاصطدم يمنةً ويسـرة وتعطلت سيارته، والطريق لم يزد ولم ينقص، والسيارة هى هى، لكن الطريقة هى التى اختلفت، تلك برفق وهذه بشدة. والشجرة الصغيرة التى نغرسها فى حوض فناء أحدنا، إذا سكَبتَ عليها الماء شيئًا فشيئًا تـشرب منه وينفعها، فإذا أخذت كمية من هذا الماء بعينه وحَجْمه وألقيتَه دفعة واحدة لاقتلعت هذه النبتة من مكانها.

إن كمية الماء واحدة ولكن الأسلوب تغيَّر.

إن من يخلع ثوبه برفق يضـمن سـلامة ثوبه، خـلاف من يجذبه بقـوة ويسحبه بسرعة، فإنه يشكو من تقطُّع أزراره وتمزقه.

*** الحض على الحلم والرفق من القرآن والسنة:**

قــال الله تعــالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَـيْظَ وَالْعَـافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٣) سورة فصلت: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٤) سورة الشورى: الآية: (٤٣).

*وأما عن الأحـاديث التى تحض على الحلم والرفق فـهى كثـيرة ولكن سأكتفى بذكر بعضها عسى الله (عز وجل) أن ينفعنا بها.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجِّ عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم[1] والأناة[2]»[3].

* وعن عـائشة رضي الله عنها قـالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله»[4].

* وعنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يُعطى على العنف وما لا يُعطى على ما سواه»[5].

* وعنهـا أن النبى صلى الله عليه وسلم قـال: «إن الرفق لا يكـون فى شىء إلا زانه، ولا يُنزع من شىء إلا شانه»[6].

* وعن أنس رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يسـروا ولا تُعسروا، وبـشروا ولا تُنفروا»[7].

* وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله»[8].

* وعن عائشة رضي الله عنها أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: «يا عائشة ارفقى فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب الرفق».

---

(١) الحلم: العقل اللبيب.

(٢) الأناة: التثبت وترك العجلة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٢٧) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩) كتاب العلم، ومسلم (١٧٣٤) كتاب الجهاد والسير.

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٢) كتاب البر والصلة والآداب..

وفى رواية: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق»[١].

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال للنبى ﷺ: أوصنى قال: «لا تغضب» فرَدَّد مراراً، قال: «لا تغضب»[٢].

* وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرةً، ورفعت إلى فيها [٣] تمرةً لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقَّت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبنى شأنها، فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار» [٤].

* عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم[٥] والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطوِّل ما شاء»[٦].

* ويخبر النبى ﷺ عن هذا الأجر العظيم لكل من كان رفيقًا بإخوانه المسلمين ويسعى فى تفريج همومهم.

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَّس[٧] عن مؤمن كربة[٨] من كرب الدنيا نَفَّس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة، ومَن يَسَّر

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٤٢١٣) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٢٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦١١٦) كتاب الأدب.

(٣) فى: فم.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٥) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٣٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) السقم: المرض.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٣) كتاب الأذان، ومسلم (٤٦٧) كتاب الصلاة.

(٧) نفَّس: فَرَّج وخَفَّف.

(٨) الكُرْبة: الضيق والشدة والغم الذى يأخذ بالنفس.

على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومَنْ ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» (١).

*بل ويخبر النبى ﷺ أن الله قد حرَّم علـى النار كل عبدٍ رفيق رحيم بمن حوله.

* **عن ابن مسـعـود** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«ألا أخبـركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هيِّن سهل»** (٢).

* ومن ثم فقد بشَّر النبى ﷺ كل عبدٍ رفيق بجنة عرضها السماوات والأرض.

*عن عياض بن حمار المجاشعى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته: **«...وأهل الجنة ثلاثة: ذو سُلطان مـقسط** (٣) **متـصدقٌ مـوفقٌ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف** (٤) **متعفف ذو عيال...»** (٥).

*** من فوائد الرفق:**

(١) طريق موصل إلى الجنة.

(٢) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٣) يُثمر محبة الله ومحبة الناس.

(٤) يُنمى روح المحبة والتعاون بين الناس.

(٥) دليل على صلاح العبد وحسن خلقه.

(٦) يُنشئ مجتمعًا سالمًا من الغلِّ والعنف.

(٧) عنوان سعادة العبد فى الدارين.

(٨) الرفق يزين الأشياء.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) **صحيح:** رواه الترمذى (٢٤٨٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٣٩٢٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٣٨).

(٣) القِسْط: العدل.

(٤) التعفف: الكفّ عن الحرام وسؤال الناس.

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٩) رفق الوالى بالرعية مدعاة لأن يرفق الله بالرعية.

(١٠) حظ الإنسان من الخير هو بمقدار حظه من الرفق.

(١١) الرفق بالحيوان فى إطعامه أو ذبحه من مظاهر الإحسان.

(١٢) الرفق دليل على فقه الرجل وأناته وحكمته[١].

❊ ❊ ❊

(١) نضرة النعيم (٦/ ٢١٦٨).

التبسُّم

إن البسمة الجميلة الصافية تفتح لك قلوب الناس من حولك.

- وحسبُنا أن نعلم أن النبى ﷺ أوصى بها وجعلها من الصدقات التى يؤجر عليه المسلم فقال ﷺ : «**تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة**»(١).

- **بل جعل النبى ﷺ ذلك من قبيل المعروف فقال ﷺ : «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ له»**(٢).

* ولذا فعليك أن تُكثر من التبسّم.

فهذا هو هدى نبينا ﷺ ، فعن عبد الله بن الحارث بن جزءٍ رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحدًا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ » (٣).

* واعلم أن ثمرات التبسم لا تقتصر على تكثير الحسنات وتكفير السيئات وكسب قلوب الناس بل إنه يبعث على السرور والانشراح ويجعلك تستمتع بمباهج الحياة.

قال الجاحظ فى مقدمة كتاب «البخلاء» شارحًا بعض فضائل التبسُّم:
«وكيف لا يكون موقعُهُ من سرور النفس عظيمًا، ومن مصلحة الطباع كبيرًا، وهو شىء من أصل الطباع، ومن أساس التركيب؛ لأن الضحك أول خير ظهر من الصبى، وبه تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه، ويكثر دمه الذى هو علة سروره، ومادةُ قوته.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٥٦) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٠٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٤١) كتاب المناقب، وأحمد (١٧٢٥١) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

وقال أحمد أمين فى كتابه «فيض الخاطر»: «ليس المبتسمون للحياة أسعد حالاً لأنفسهم فقط، بل هم - كذلك- أقدر على العمل، وأكثر احتمالاً للمسئولية، وأصلح لمواجهة الشدائد، ومعالجة الصعاب، والإتيان بعظائم الأمور التى تنفعهم، وتنفع الناس.

ولو خُيرت بين مالٍ كثير - أو منصب خطير - وبين نفسٍ راضية باسمة - لاخترت الثانية، فما المال مع العبوس؟!، وما المنصب مع انقباض النفس؟!، وما كل ما فى الحياة إذا كان صاحبه ضيقًا حرجًا، كأنه عائد من جنازة حبيب؟!

وما جمال الزوجة إذا عبست، وقلبت بيتها جحيمًا؟!، لخيرٌ منها - ألف مرةٍ - زوجة لم تبلغ مبلغها من الجمال، وجعلت بيتها جنةً!

ولا قيمة للبسمة الظاهرة إلا إذا كانت منبعثة مما يعترى طبيعة الإنسان من شذوذ، فالزهر باسم، والغابات باسمة، والبحار، والأنهار، والسماء، والنجوم، والطيور - كلها باسمة، وكان الإنسان بطبعه باسمًا، لولا ما يعرض له من طمع، وشرٍّ، وأنانية تجعله عابسًا، فكان بذلك نشازًا فى نغمة الطبيعة المنسجمة».

قال الشاعر إيليا أبو ماضى:

قال: السماء كئيبة، وتجهما

قلت: ابتسم، يكفى التجهم فى السما!

قال: الصبا[1] ولَّى، فقلت له: ابتسم

لن يرجع الأسف الصبا المتصرما[2]

قال: التى كانت سمائى فى الهوى

صارت لنفسى فى الغرام جهنما

(١) الصبا: الفتوة والشباب.

(٢) المتصرم: المنسلخ المنقضى.

خانت عهودي بعدما ملّكتها
قلبي، فكيف أُطيق أن أتبسما
قلت: ابتسم، واطرب، فلو قارنتها
قضيت عمرك كله متألما
قال: التجارة في صراعٍ هائل
مثل المسافر كاد يقتله الظما[1]
أو غادة[2] مسلولة محتاجة
لدمٍ، وتَنْفُثُ كلما لهثت دما
قلت: ابتسم، ما أنت جالب دائها
وشفائها، فإذا ابتسمت فربما
أيكون غيرك مجرمًا، وتبيت في
وَجَلٍ[3] كأنك أنت صرت المجرما؟
قال: العِدَى[4] حولي علت صيحاتهم
أَأُسَر والأعداء حولي في الحِمى[5]؟
قلت: ابتسم، لم يطلبوك بذمهم
لو لم تكن منهم أجلَّ وأعظما
قال: المواسم قد بدت أعلامها
وتعرضت لي في الملابس والدُّمَى
وعليَّ للأحباب فرضٌ لازمٌ
لكن كفي ليس تملك درهما

(١) الظما: أصلها الظمأ بالهمز، وهو العطش.
(٢) الغادة: المرأة الجميلة الناعمة الكفين، اللينة الأطراف.
(٣) الوجل: خفقان القلب عند ذكر من يخاف سطوته.
(٤) العدى: الأعداء.
(٥) الحمى: المحمى، وهو المحظور على غير مالكه.

قلت: ابتسم، يكفيك أنك لم تزل
حيًا، ولست من الأحبة مُعدما
قال: الليالي جرَّعتني علقما
قلت: ابتسم، ولئن جُرعت العلقما
فلعل غيرك إن رآك مُرنمًا
طَرَح الكآبة جانبًا، وترنما
أتراك تغنم بالتبرم درهما
أم أنت تخسر بالبشاشة مغنما؟
يا صاحِ[1]، لا خطر على شفتيك أن
تتثلما[2]، والوجه أن يتحطما
فاضحك فإن الشُّهب[3] تضحك والدُّجى[4]
متلاطم، ولذا نحب الأنجُما
قال: البشاشة ليس تُسعد كائنًا
يأتي إلى الدنيا ويذهب مُرغَما
قلت: ابتسم، ما دام بينك والردى[5]
شبرٌ، فإنك بعد لن تتبسما

* * *

(١) صاح: أصل كلمة صاحب، نوديت نداء ترخيم بحذف الباء، وبقى ما قبل الباء على حركته قبل الحذف على لغة من ينوى المحذوف.

(٢) الثلم والثلمة: الكسر فى الإناء ونحوه.

(٣) الشهب - بضم الهاء أو سكونها -: جمع شهاب.

(٤) الدجى: ظلام الليل، والمفرد دُجية.

(٥) الردى: الموت والهلاك.

إفشاء السلام

* ومن أعظم الوسائل التى تكسب بها قلوب الناس من حولك أن تلقى السلام عليهم، وأن تُسلِّم على من تعرف ومن لا تعرف.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «السلام اسم من أسماء الله، وضعه الله فى الأرض، فأفشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بقوم، فسلم عليهم، كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه، رد عليه من هو خير منهم وأطيب»(١).

* حكم السلام:

وإفشاء السلام سنة مؤكدة، وحق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«حق المسلم على المسلم ستٌّ: إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فَعُده، وإذا مات فاتبعه»**(٢).

وكما يكون السلام عند اللقاء، يكون عند الفراق، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»**(٣).

ويكون أيضًا بظهر الغيب: كأن ترسل إلى أخيك برسولٍ يعرفه؛ ليحملَ إليه سلامك، أو تبعث له بالسلام عبر رسالة، أو تتصل به هاتفيًّا للسلام

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٨٢، رقم ١٠٣٩١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٩٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٤٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٠٨) كتاب الأدب، والترمذى (٢٧٠٦) كتاب الاستئذان والآداب، وأحمد (٧٧٩٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٨٣).

عليه، وليتخلل ذلك السؤال عن حاله، وحال من يعزُّ عليه مع التواصى بالحق والصبر؛ فإن ذلك أدعى لبقاء المودة، وتوثيق عُرى الأُخوة بينكما.

فعن عائشة ﵂ **قالت:** قال لى رسول الله ﷺ : **«يا عائش، هذا جبريل يُقرئك السلام».**

قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته[1] .

يقول الشاعر:

جُـــد لنـا بالســـلام إن لم تـزرنا

إن بـذل الســـلام نصـف الزيـارة

واكـتب الحب بـالدمـوع ليـبـقى

للمـحـبـين شـامـة وإشـارة

أى أخى - رعـاك الله - إن أردت ألا تكون أبخل الناس وأعـجـزهم، فَجُد بالسلام، . . . فـعن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن أبخل الناس من بخل بالسلام، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء»**[2] .

وإذا كان البدء بالسـلام سنة مستحبة على الكفـاية، فإن ردَّه فرض عين فى حق الواحد لأن الله جل وعلا يقول: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾[3] .

فإن كان المُسلَّمُ عليهم جماعة، فـردُّ السلام فى حقهم فرض كفاية، إن رده واحدٌ منهم - وإن كان الأفضل أن يردوا جميعًا - سقط الحرج عن الباقين، وإن تركوا ردَّه كلهم أَثِموا كلهم، فعن على ﵁ عن النبى ﷺ قال: **«يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يُسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم»**[4] .

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٦٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٤٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٥/ ٣٧١ ، رقم ٥٥٩١)، وصححه العـلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٤٤).

(٣) سورة النساء: الآية: (٨٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٥٢١٠) كتاب الأدب، وصـححه العلامـة الألبانى رحمه الله فـى صحيح الجامع (٨٠٢٣).

وإذا تلاقى رجلان، فسلم كل واحد منهما على صاحبه دفعة واحدة، صار كل منهما مبتدئًا بالسلام، فيجب على كل واحد منهما أن يردَّ على صاحبه، هذا ويشترط فى الجواب أن يكون على الفور، فإن أخَّره، ثم ردَّ، لم يُعد جوابًا، وكان آثمًا بترك الرد.

ويستحب لمن أُرسل إليه سلام أن يرد على المُبلغِّ أيضًا، فيقول: وعليك وعليه السلام . . فعن غالب القطان قال: إنا لجلوس بباب الحسن، إذ جاء رجل فقال: حدثنى أبى عن جدى قال بعثنى أبى إلى رسول الله ﷺ: فقال: «ائته، فأقرئه السلام». قال: فأتيته، فقلت: «إن أبى يُقرئك السلام». فقال: **«وعليك وعلى أبيك السلام»**[1].

والآية الآنفة الذكر تدل على أن رد التحية بمثلها واجب، والزيادة سنة مستحبة، فمن سلم عليك، فقال: السلام عليكم، فرد عليه بمثل سلامه، فقل: وعليكم السلام، وإن زدت الرحمة والبركة، فهو أفضل، حتى تغنم من الأجر ثلاثين حسنة.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه **قال**: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: «السلام عليكم» فرد عليه السلام، ثم جلس، فقال النبى ﷺ: **«عشر»**. ثم جاء آخر، فقال: «السلام عليكم، ورحمة الله». فرد عليه، فجلس، فقال: **«عشرون»**. ثم جاء آخر فقال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» فرد عليه فجلس، فقال: **«ثلاثون»**[2].

تحية المسلمين الحسنى هى السلام، فهو تحية أهل الجنة، قال الله تعالى: ﴿ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ** ﴾[3].

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٥٢٣١) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٥٩٤) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥١٩٥) كتاب الأدب، والدارمى (٢٦٤٠) كتاب الاستئذان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٧١٠).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٤٤).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عـن النبى ﷺ قـال: «لما خلق الله آدم عليه السلام قـال: اذهب فسلِّم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستـمع ما يحيونك، فإنها تحيتك، وتحـية ذريتك، فقال: السـلام عليكم، فقالوا: السلام عليـك، ورحمة الله فزادوه، ورحمة الله»(١).

أما التحية بصباح الخير، ومساء الخير، ونحو ذلك فتلك عادة مستوردة، شبيهة بتحية الجاهلية.

صـبـحـتـه عنـد المسـاء، فـقـال لى:
مـاذا الصـبــاح؟! وظن ذاك مـزاحـا
فـأجـبــتــه إشـراق وجـهـك غـرنى
حـتى تبـينت المسـاء صـبـاحـا

*** فضل السلام وفوائده:**

من فضله وفوائده ما يأتى:

١- من أعظم فوائده امتثال أمر الله سبحانه لأنه غاية سعادة الإنسان فى معاشه ومعاده، . . . قال الحق تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا (٢) وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا (٣) ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٤).

وقال أيضًا: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٤١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) تستأنسوا: تستأذنوا، سمى الاستئذان استئناسًا، لأنه به يحصل الاستئناس، وبعدمه يحصل الاستيحاش، ففى الآية مجاز مرسل علاقته السببية، فما أروع بلاغة القرآن الكريم.

(٣) صفة ذلك - كما جاء فى الحديث - «السلام عليكم، أأدخل؟».

(٤) سورة النور: الآية: (٢٧).

(٥) سورة النور: الآية: (٦١).

٢- إفشاء اسم الله تعالى بين الناس، وإحياءٌ لسنة نبينا محمد ﷺ.

٣- أنه من صفات الملائكة المقربين، وأولياء الله المتقين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾(١).

٤- أنه من أسباب تآلف المسلمين، ونشر المحبة والمودة بينهم، وزوال الشحناء والتباغض عن قلوبهم، فهو مفتاحٌ - مؤكد النتيجة - لفتح كثير من القلوب.

وإذا كان السلام طريق المحبة، فالمحبة طريق الإيمان، والإيمان طريق الجنة، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذى نفسى بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَ لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟، أفشوا السلام بينكم»**(٢).

٥- أنه من الأمور التى يستكمل بها الإيمان، قال رسول الله ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا»**(٣).. ولا شك أن حُسن الخلق يستلزم إلقاء السلام.

٦- أنه من أسباب حصول البركة على المسلم والمسلم عليه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: **«يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك»**(٤).

٧- أن فيه إغاظة لليهود المغضوب عليهم.

فعن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال: «ما حسدتكم اليهود على شىء، ما

---

(١) سورة الذاريات: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٣) رواه أحمد وأبو داود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٣٠).

(٤) رواه الترمذى، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٨).

حسدتكم على السلام والتأمين» [١].

٨- أنه من أسباب دخول الجنة، . . . فعن أبى يوسف عبد الله بن سلام ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام - تدخلوا الجنة بسلام**» [٢].

* * *

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٨٥٦) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦١٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (١٣٣٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، والدارمى (١٤٦٠) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٦٥).

المصافحة

فالمصافحة من أعظم وسائل تأليف القلوب ونشر روح المحبة بين المسلمين وهى سُنة عن النبى ﷺ.

ومما يدل على أنها سنة حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «علمنى رسول الله ﷺ التشهد، وكفِّى بين كفيه»(١).

وعن قتادة قال: قلت لأنس: «أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: «نعم»(٢).

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قَدِموا تعانقوا»(٣).

وعنه أيضًا قال: قال رجل: يا رسول الله، أحدنا يلقى صديقه، أينحنى له؟ قال: «**لا**» قال: فيلزمه ويُقبله؟ قال: «**لا**» قال: فيصافحه؟ قال: «**نعم، إن شاء**»(٤).

* بل إن المصافحة من الأعمال الصالحات التى تكفر الذنوب والسيئات، لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا**»(٥).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٣٦٥) كتاب الاستئذان.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٢٦٣) كتاب الاستئذان.

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ٣٧، رقم ٩٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٦٤٧).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٧٢٨) كتاب الاستئذان والآداب، وابن ماجه (٣٧٠٢) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٦٠).

(٥) حسن: رواه أبو داود (٥٢١٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٧٢٧) كتاب الاستئذان والآداب، وابن ماجه (٣٧٠٣) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٧٧).

* وإذا صافحك أخوك فمن حسن الأدب ألا تنزع يدك من يده حتى يكون هو الذى ينزع قبلك لحديث أنس بن مالك ﷺ قال: «كان النبى ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل الذى ينزع، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه ولم يُرَ مقدمًا ركبتيه بين يدى جليس له»(١).

* واحذر من مصافحة النساء غير المحارم فقد نهى النبى ﷺ عن ذلك، . . . لحديث معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن يُطعن فى رأس رجلٍ بمخيط(٢) من حديد خير له من أن يمس امرأة، لا تحل له»**(٣).

وعن عائشة ﷺ أنها ذكرت بيعة رسول الله ﷺ للنساء، وامتحانه لهن، فقالت: «لا والله، ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام».

قالت عائشة ﷺ: «والله، ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى، وما مسَّت كَفُّ رسول الله ﷺ كَفَّ امرأةٍ قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: **«قد بايعتكن»** كلامًا»(٤).

وعن أميمة بنت رقيقة قالت: «أتيت النبى ﷺ فى نساء نبايعه، فأخذ علينا ما فى القرآن ألا نشرك بالله شيئًا . . . الآية، قال: «فيما استطعتن وأطقتن».

(١) رواه أبو داود وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود (٣/ ٩١٠) وفى الصحيحة (٢٤٨٥).

(٢) المخيط: الإبرة.

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (٢٠/ ٢١٢ ، رقم ٤٨٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٨٨) كتاب الطلاق، ومسلم (١٨٦٦) كتاب الإمارة.

قلنا: «الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا».

قلنا: «يا رسول الله، ألا تصافحنا؟».

قال: «إنى لا أصافح النساء، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة»[١].

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٥٩٧) كتاب السير، وابن مـاجه (٢٨٧٤) كتاب الجهاد، ومالك فى الموطأ (١٨٤٢) كتاب الجامع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٢٩).

التنادى بأحب الأسماء

من المعلوم أن الإنسان يحب كل من يحترمه ويُقدره.

وكان من بين الأشياء التى تجعل المسلم يشعر باحترام الناس وتقديرهم له أن ينادوه بأحب الأسماء إلى قلبه.

فحفظك لاسم صاحبك دليل على تقديرك له.

وكان رسول الله ﷺ ينادى أصحابه بأحب الأسماء إليهم، حتى الأطفال الصغار كان يكنيهم أحيانًا (١).

عن أنس رضي الله عنه **قال:** «كان النبى ﷺ أحسن الناس خلقًا، وكان لى أخٌ يقال له أبو عمير، وكان النبى ﷺ إذا جاء يقول له: **«يا أبا عُمير، ما فعل النُّغَير؟** (٢)» (٣).

* وكما أن التنادى بأحب الأسماء يزرع الود والمحبة فى القلوب ويجعل المسلم قريبًا من إخوانه فإن التنابز بالألقاب يزرع الحقد والضغينة فى القلوب ويُحوِّل المرء من مؤمن إلى فاسق . . كما قال الله (جل وعلا).

﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ (٤).

روى أبو جبيرة بن الضحاك رضي الله عنه **قال:** نزلت هذه الآية فى بنى سلمة: **﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾**، قال: قدم علينا

---

(١) فائدة: قال العلامة ابن القيم - يرحمه الله - فى كتابه «تحفة الودود» (ص١٠١) ما نصه: «لا يلزم من جواز التكنية أن يكون له ولد، وأن يكنى باسم ذلك الولد، والله أعلم».

(٢) النُّغير: تصغير نغر واحد النغران، وهو طائر أحمر المنقار، يشبه العصفور، كان يلعب به فمات فحزن عليه، فكان رسول الله ﷺ يستقبله، ويقول له ذلك مازحًا ومداعبًا.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٢٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الآداب.

(٤) سورة الحجرات: الآية: (١١).

رسول الله ﷺ وليس منا إلا وله اسمان، أو ثلاثة، فجعل النبى ﷺ يقول: «**يا فلان**» فيقولون: مَه[١] يا رسول الله، إنه يغضب من هذا الاسم، فأُنزلت هذه الآية: ﴿**وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**﴾[٢].

* ومن اللطائف والغرائب أن الملائكة حين تصعد بروح العبد المؤمن: «فلا يمرُّون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟!. فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا.

أما الروح الخبيثة فيقولون: فلان بن فلان بأقبح الأسماء التى كان يُسمَّى بها فى الدنيا»[٣].

* * *

(١) مه: كلمة نهى وزجر، وهى فعل أمر بمعنى: انكفف عما أنت فيه، وليس بمعنى: اكفف كما يقول بعض النحاة؛ لأن (مه) لا يتعدى فمثله مثل (انكفف) بخلاف (اكفف) فهو متعدٍّ.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٦٢) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١٨٠٦٣) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

الهدية

من المعلوم أن الهدية لها مفعول السحر الحلال فى تأليف القلوب واستجلاب محبة الناس . . ولذلك حث النبى ﷺ على ذلك فقال ﷺ : «**تهادوا تحابوا**»[(١)] .

- بل حَثَّ النبى ﷺ على قبول الهدية مهما كانت صغيرة أو كبيرة ونهى عن ردِّ الهدية .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**أجيبوا الداعى، ولا تردوا الهدية**»[(٢)] .

قال ابن حبان - رحمه الله -: «زجر النبى ﷺ فى هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين، فالواجب على المرء إذا أُهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردها، ثم يثيب عليها إذا قدر، ويشكر عنها، وإنى لأستحب للناس بعث الهدايا إلى الإخوان بينهم؛ إذ الهدية تورث المحبة، وتُذهب الضغينة»[(٣)] .

وقال أيضًا: «فالعاقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بعث الهدايا بما قدر عليه لاستجلاب محبتهم إياه، ويفارقه تركه مخافة بغضهم»[(٤)] .

---

(١) حسن: رواه البخارى فى الأدب المفرد (١/٢٠٨ ، رقم ٥٩٤)، البيهقى (٦/١٦٩ ، رقم ١١٧٢٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٠٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٨٢٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٨).

(٣) «روضة العقلاء» (ص٢٤٢).

(٤) المرجع السابق (ص ٢٤٤).

إن الهدية حلوة
كالسحر، تختلب القلوبا
تُدني البعيد من الهوى
حتى تُصيِّره قريبا
وتعيد مضطغن العداوة
بعد بغضته حبيبا
تنفي السخيمة[١] من ذوي الشـ
ـشحنا، وتمتحق الذنوبا[٢]

* وعلى المسلم أن يقبل الهدية سواء كانت عظيمة أو دون ذلك وسواء كانت قليلة أو كثيرة فقد كان النبي ﷺ لا يرد الهدية مهما كانت قليلة القيمة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لو دعيت إلى ذراع - أو كراع[٣] لأجبت، ولو أُهدي إليَّ ذراع - أو كراع - لقبلت»[٤].**

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «وخَصَّ الذراع والكُراع بالذكر؛ ليجمع بين الأمرين: الحقير، والخطير، لأن الذراع كانت أحب إليه من غيرها، والكراع لا قيمة له»[٥].

جاءت سليمانَ يوم العرض هدهدةٌ
أهدت له من جراد، كان في فِيها

(١) السخيمة: الحقد.

(٢) «روضة العقلاء» (ص ٢٤٣).

(٣) الكراع: هو من الدابة ما بين الركبة إلى الساق، وجمعه كُرُع، وفي المثل «أعطى العبد الكراع، فطمع في الذراع» يضرب لمن أعطى شيئًا لم يكن يرجوه، فطمع في أكثر منه.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٥٦٨) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

(٥) فتح الباري (٥/ ٢٣٦).

وأنشدت بلسان الحال قائلة:

إن الهدايا على مقدار مُهديها

لو كان يُهدَى إلى الإنسان قيمته

لكان يُهدَى لك الدنيا وما فيها

* فعليك أن تقبل الهدية.. وإن رأيت أن صاحبك قد تكلَّف لك.. فلك أن تُثيبه بأحسن منها أو مثلها.

فقد كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية، ويثيب عليها، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية، ويثيب عليها[1]»[2].

هدايا الناس بعضهم لبعض

تُولِّد في قلوبهم الوصالا

وتزرع في القلوب هوى ووُدًّا

وتكسوك المهابة والجلالا

مصايد للقلوب بغير لَغَب[3]

وتمنحك المحبة والجمالا[4]

* وأهدِ لإخوانك ولا يمنعك من ذلك ضآلة هديتك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فِرسِن[5] شاة»**[6].

---

(١) يثيب عليها: أي يجازي المهدي بهدية أيضًا.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٥٨٥) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

(٣) اللغب: التعب والإعياء، يقال: لغب يلغب لغبًا ولغوبًا.

(٤) «روضة العقلاء» (ص ٢٤٤).

(٥) فرسن الشاة: ظلفها.

قال الجوهري: «الفرسن من البعير كالحافر من الدابة». قال: «وربما استعير في الشاة» رياض الصالحين (ص ١٠٠).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٦٦) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ومسلم (١٠٣٠) كتاب الزكاة.

هديتي تصغر عن همتي

وهمتي تكبر عن مالي

فخالص الود ومحض الصفا

أفضل ما يهديه أمثالي

* * *

حسن السمت وطيب الرائحة

إن الحلية فى الظاهر تدل على ميل الباطن.

فعلى المسلم أن يعتنى بمظهره فإن الله جميل يحب الجمال . . بل ويجب أن يرى أثر نعمته على عبده.

* **وحسن السمت**: أى حسن المظهر والهيئة . . وطيب الرائحة من أعظم أسباب ميل القلوب إليك.

ومما يدلك على أن حسن المظهر من أسباب ميل القلوب ما رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ . .» (١).

فالحكمة من مجىء جبريل عليه السلام بهذه الهيئة الحسنة من شدة بياض الثياب، وشدة سواد الشعر - ليعظم اتجاههم إليه، وإجلالهم له، وإصغاؤهم لما يقول.

* ولذلك نجد كثيراً من السلف كانوا يهتمون بمظهرهم اهتمامًا بالغًا.

فهذا ابن عباس ﷺ كان يعتنى بمظهره ويُرجِّل شعره فسأله رجل عن ذلك فقال: إنى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين هى لى.

قال عبد الملك الميمونى رحمه الله: «ما أعلم أنى رأيت أحداً أنظف ثوبًا، ولا أشد تعاهدًا لنفسه فى شاربه، وشعر رأسه، وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبًا،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان.

وشدة بياض - من أحمد بن حنبل»[١].

واعلم - أخى فى الله - أن الناس يصنفون المرء من لباسه، فحرى بالعاقل أن يراعى عُرف أهل بلده، حتى لا يُخلَّ بمعانى المروءة، ولا سيما إذا كان العرف مما يقره الشرع، وإلا فالشرع هو المعتمد، ولنا برسول الله ﷺ أسوةٌ حسنة [٢].

* ولذلك فعلى المسلم أن يهتم بثيابه وأن يتطيب ويُسرح شعره ولحيته ويستاك ليكون مظهره صورة حية للمسلم النظيف.

* ومع كل هذا فلا ينبغى أن ينشغل المسلم بمظهره لدرجة يصل بها إلى الانشغال عن العبادات وسائر الواجبات.... بل عليه أن يسلك فى ذلك سلوك الاعتدال فى كل شىء.

*** فعن أبى أمامة الحارثى قال:**

قال رسول الله ﷺ: «البذاذة[٣] من الإيمان»[٤].

قال الخطيب البغدادى فى شرحه لهذا الحديث نقلاً عن أبى عبد الله البوشنجى - رحمه الله - قوله: «وأما البذاذة التى قال رسول الله ﷺ أنها من الإيمان فهى رثاثة الثياب فى الملبس والمفرش، وذلك تواضع عن رفيع الثياب، وثمين الملابس والمفترش، وهى ملابس أهل الزهد فى الدنيا، يقال: فلان بذى الهيئة: رثُّ الملبس، والله أعلم»[٥].

وقال الماوردى - رحمه الله -: «واعلم أن المروءة أن يكون الإنسان

---

(١) آداب طالب العلم / لابن رسلان (ص ٢٩).

(٢) طريقنا للقلوب لأبى عبد الله فيصل الحاشدى - حفظه الله - (ص: ٣٤).

(٣) البذاذة: التقشف وترك فاخر اللباس.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤١٦١) كتاب الترجل، وابن ماجه (٤١١٨) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٧٩).

(٥) «الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع» (١/ ١٥٤).

مُعتدل الحال في مراعاة لباسه من غير إكثار ولا اطِّراح، فإن اطراح مراعاتها، وترك تفقُّدها مهانة وذُل، وكثرة مراعاتها، وصرف الهمة إلى العناية لها دناءة ونقص[1].

❋ ❋ ❋

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ٣٥٣).

حفظ اللسان

احفظ لسانك أيها الإنسان
لا يلدغنك إنه ثعبانُ
كم فى المقابر من قتيلِ لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعانُ! (١)

* إن الناس تحب المسلم الذى يحفظ لسانه ولا يُطلق له العنان ليخوض فى أعراض الناس بالغيبة والنميمة والقذف وشهادة الزور.

* فمن أراد أن يظفر بمحبة الناس فعليه أن يحفظ لسانه إلا من الخير فقد قال النبى ﷺ: **«فكُفَّ لسانك إلا من الخير»** (٢).

* فعلى المسلم أن يفكر جيدًا قبل أن يتكلم بأى كلمة فإن السلامة لا يعدلها شىء.

وقد قال رسول الله ﷺ: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (٣).

وقال ﷺ: «إذا قمت إلى صلاتك، فصلِّ صلاة مودعٍ، ولا تكلم بكلام تعتذر منه، وأجمع الإياس مما فى أيدى الناس» (٤).

* ولن يكون المسلم من خيرة المسلمين حتى يَسلم المسلمون من لسانه ويده.

---

(١) جواهر الأدب (ص: ٧١٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨١٧٣) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٨٩٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣١٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٣٩٧٦) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩١١).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٧١) كتاب الزهد، وأحمد (٢٢٩٨٧) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٤٢).

وقد سُئل رسول الله ﷺ: «أى الإسلام أفضل؟». قال: «مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده»(١).

* بل لقد أخبر النبى ﷺ أن العبد قد يقول كلمة فتهوى به فى جهنم.. وقد يقول كلمة يرفعه الله بها فى الجنة درجات.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يُلقى لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخطِ الله، لا يُلقى لها بالاً، يهوى بها فى جهنم»**(٢).

* وحسبُنا أن نعلم أن النبى ﷺ قد ضمن الجنة لمن صان لسانه وفرجه،... فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من يضمن لى ما بين لحييه(٣) وما بين رجليه(٤) أضمن له الجنة»**(٥).

الاقتصار على الكلام الطيب

لقد حثنا الحق (جل وعلا) على أن نقتصر على خير الكلام وترك ما سوى ذلك.

قال الله سبحانه وتعالى: **﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**(٦).

*** وحثنا النبى ﷺ أيضًا على ذلك فقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(٧).**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٢) كتاب الإيمان.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٧٨) كتاب الرقاق، واللفظ له، ومسلم (٢٩٨٨) كتاب الزهد والرقائق.
(٣) هو اللسان. واللحيان: العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان.
(٤) هو الفرج.
(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٤٧٤) كتاب الرقاق.
(٦) سورة النساء: الآية: (١١٤).
(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

* فمن أراد أن يكسب قلوب الناس فعليه أن يقتصر على الكلام الطيب ولا يكثر من الكلام فإن كثرة الكلام تُذهب الهيبة والوقار وتوقع فى الخطأ ليل نهار وهو مدعاة لطول الحساب بين يدى العزيز القهار.

* ولقد كان النبى ﷺ قليل الكلام . . لا يتكلم إلا فيما ينفع الناس فى دينهم أو دنياهم.

قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يُحدِّث حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه»[1].

خير الكلام قليل
على كثيرٍ دليلُ
والعِىُّ معنًى قصيرٌ
يحويه لفظٌ طويلُ[2]

* قال الماوردى: «واعلم أن للكلام شروطًا، لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يعرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها، وهى أربعة:

فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداعٍ يدعو إليه، إما فى اجتلاب نفع، أو دفع ضرر.

والشرط الثانى: أن يأتى به فى موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته.

والشرط الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.

والشرط الرابع: أن يتخير اللفظ الذى يتكلم به[3].

وقال القاسمى: «كلام الإنسان بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل[4].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٦٨) كتاب المناقب، واللفظ له، ومسلم (٢٤٩٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) بهجة المجالس (١/ ٦١).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٧٥).

(٤) «جوامع الأدب» للقاسمى (ص ٦).

وقال الزمخشرى: «خير الألسن المخزون، وخير الكلام الموزون، فحدِّث إن حدثت بأفضل من الصمت، وزِن حديثك بالوقار، وحسن السمت، إن الطيش فى الكلام يترجم عن خفة الأحلام، وما دخل الرفق فى شىءٍ إلا زانه، وما زان المتكلم إلا الرزانة»[1].

تكلم وسدِّد ما استطعت فإنما
كلامك حىٌّ، والسكوتُ جمادُ
فإن لم تجد قولاً سديدًا تقوله
فصمتك عن غير السدادِ سدادُ[2]

* * *

(١) «أطواق الذهب» للزمخشرى (ص ٨٩).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٩).

حُسن الاستماع

واعلم أن من أعظم الأسباب التى تجعلك تفوز بمحبة الناس من حولك أن تُحسن الاستماع إليهم.

وحُسن الاستماع يكون بحضور القلب وإشراقة الوجه وبطرف العين والأذنين فإذا تحدث إليك إنسان فأقبلت عليه بقلبك وجوارحك كان ذلك دليلاً على تقديرك لشخصه واحترامك له .. وهذا كله يجعلك فائزاً بمحبته.

قال ابن عباس ﷺ: «لجليسى علىَّ ثلاثٌ: أن أرميه بطرفى[١] إذا أقبل، وأن أوسع له فى المجلس إذا جلس، وأن أُصغى إليه إذا تحدث»[٢].

وقال ابن المقفع: «تعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الكلام، ومن حُسن الاستماع إمهالُ المتكلم حتى ينقضى حديثه، وقلة التلفُّت إلى الجواب، والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم، والوعى لما يقول»[٣].

وقال أبو عباد: «للمحدث على جليسه السامع لحديثه أن يجمع له باله، ويصغى إلى حديثه، ويكتم عليه سره، ويبسط له عذره»[٤].

وقال سعيد بن العاص: «لجليسى على ثلاث: إذا أقبل وسَّعت له، وإذا جلس أقبلت إليه، وإذا حدَّث سمعت منه»[٥].

---

(١) الطرف: البصر.
(٢) «عيون الأخبار فى فن الحوار» (١/٣٠٧).
(٣) «الأدب الصغير، والأدب الكبير».
(٤) «زهرة الأدب» (١/١٩٥).
(٥) «المنتقى من مكارم الأخلاق» انتقاء أبى طاهر السلفى (ص ٥٤).

إن أنت جالست الرجال ذوى النُّهى[١]

فاجلس إليهم بالكمال مؤدبا

واسمع حديثهم إذا هم حدَّثوا

واجعل حديثك إذا نطقت مهذبا[٢]

* وفى المقابل لا بد أن تعلم أن ترك الإصغاء للمحدث قلة مروءة وسوء أدب ومجلبة للحقد والكراهية والضغينة.

ويكون ترك الإصغاء بعدة أشياء منها: إشاحة الوجه والنظر هنا وهناك أو بالقيام قبل أن يكمل حديثه أو مقاطعته أو بقراءة كتاب أثناء حديثه أو متابعة إنسان آخر . . إلى غير ذلك.

وما أجمل قول أبى تمام الطائى:

من لى بإنسان إذا أغضبته

وجهلت كان الحلمُ ردَّ جوابه

وإذا جلست إليه شربت من

أخلاقه، ونهلتُ من آدابه

وتراه يُصغى للحديث بسمعه

وبقلبه، ولعله أدرى به؟[٣]

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «ومن سوء الأدب فى المجالسة أن تقطع على جليسك حديثه، أو أن تبتدره إلى تمام ما ابتدأ به منه، خبراً كان، أو شعراً تتم له البيت الذى بدأ به؛ تريه أنك أحفظ له منه، فهذا غاية فى سوء المجالسة، بل يجب أن تُصغى إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه»[٤].

---

(١) النهى: جمع نهية، وهى العقل، سُمى العقل نهية، لأنه ينهى صاحبه عن مقارفة كل قبيح.

(٢) «عيون الأخبار» (١/ ٣٠٧).

(٣) طرائق الحكمة (١/ ٧٣) بتصرف.

(٤) بهجة المجالس (١/ ٣٦).

وقال ابن المقفع: «وإذا رأيت رجلاً يُحدث حديثًا قد علمته، أو يخبر خبرًا سمعته فلا تشاركه فيه، ولا تتعقبه عليه حرصًا على أن يعلم الناس أنك قد علمته، فإن في ذلك خفةً، وسوء أدب، وسخفًا»[1].

قال معاذ بن سعد الأعور: «كنت جالسًا عند عطاء بن أبي رباح، فحدَّث رجلٌ بحديث، فعرض رجلٌ من القوم في حديثه، قال: فغضب، وقال: ما هذه الطباع؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به، فأُريه كأني لا أُحسن منه شيئًا»[2].

وقال ابن سعدي رحمه الله: «ومن الآداب الطيبة إذا حدثك المحدث بأمر - ديني أو دنيوي - ألا تنازعه إذا كنت تعرفه، بل تُصغي إليه إصغاء من لا يعرفه، ولم يمر عليه، وتريه أنك استفدت منه، كما كان ألبَّاء[3] الرجال يفعلونه. وفيه من الفوائد: تنشيط المحدث، وإدخال السرور عليه، وسلامتك من العجب بنفسك، وسلامتك من سوء الأدب، فإن منازعة المحدث في حديثه من سوء الأدب»[4].

وقال الحسن: «إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حُسن القول، ولا تقطع على أحدٍ حديثه»[5].

* * *

(١) الأدب الكبير والأدب الصغير (ص: ١٣٦).
(٢) روضة العقلاء (ص: ٧٢).
(٣) ألباء: جمع لبيب، وهو العاقل الحازم.
(٤) «الرياض الناضرة» (ص ٥٤٨).
(٥) «المنتقى من مكارم الأخلاق» (ص ١٥٥).

المروءة

إن المروءة تجعل صاحبها فى قلوب الناس جميعًا.

فصاحب المروءة حبيب إلى قلوب الخلق.

* سُئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال: صدق اللسان، ومواساة الإخوان، وذكر الله تعالى فى كل مكان[١].

* حكى أن معاوية سأل عَمْرًا [٢] ﷺ عن المروءة؟ فقال: تقوى الله تعالى وصلة الرحم.

وسأل المغيرة فقال: هى العفة عما حرم الله تعالى، والحرفة فيما أحل الله تعالى.

وسأل يزيد فقال: هى الصبر على البلوى والشكر على النعمى، والعفو عند المقدرة[٣].

فقال معاوية: أنت منى حقًّا [٤].

* سُئل محمد بن على عن المروءة، فقال: أن لا تعمل عملاً فى السر تستحيى منه فى العلانية[٥].

* **وقيل:** لا مروءة لمن لا أدب له، ولا أدب لمن لا عقل له[٦].

* **وقال بعض الشعراء:**

---

(١) أدب الدنيا والدين (٣٢٣).

(٢) عمرًا: أى عمرو بن العاص.

(٣) المقدرة: القدرة.

(٤) أدب الدنيا والدين (٣١٠).

(٥) أدب الدنيا والدين (٢٣١٥)، وتهذيب اللغة للأزهرى (١٥/ ٢٨٧).

(٦) المروءة الغائبة (ص ٣٨).

وكنت إذا صحبت رجال قوم

صحبتهم وشيمتي الوفاءُ

فأُحسِن حين يُحسن مُحسنوهم

وأجتنب الإساءة إن أساؤوا

وأُبصر ما يعيبهم بعينٍ

عليها من عيوبهم غطاءُ

أزيد رضاهم أبدًا وآتي

مشيئتهم وأترك ما أشاء(١)

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن في وصيته له: يا بني إن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، ولا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرًّا، فإن اليسير من الله تعالى أكرم وأعظم من الكثير من غيره، وإن كان كُلٌّ منه كثيراً (٢).

* قال الحصين بن المنذر الرقاشي:

إن المروءة ليس يدركها امرؤٌ

ورث المكارم عن أبٍ فأضاعها

أمرته نفسٌ بالدناوة والخنا

ونهته عن سُبل العلا فأطاعها

فإذا أصاب من المكارم خُلَّةً

يبني الكريم بها المكارم باعها(٣)

* قال مسروق: كان يقال: مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب، ومجالسة ذوي المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة

---

(١) المروءة الغائبة (ص: ٤٢).

(٢) المروءة الغائبة (ص: ٣٨).

(٣) أدب الدنيا والدين (ص: ٣٠٧).

العلماء تُزكِّى القلوب[١].

قيل لسفيان بن عيينة: قد استنبطت من القرآن كل شىء فأين المروءة؟.

فقال: فى قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٢]

ففيه المروءة، وحسن الأدب، ومكارم الأخلاق، فجمع فى قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين.

ودخل فى قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله فى الحلال والحرام، وغضُّ الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

ودخل فى قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الحضُّ على التخلق بالحلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازلة السفهاء، ومساواة الجهلة والأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، والأفعال الرشيدة [٣].

* قال بعض الشعراء:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هوانًا بها كانت على الناس أهونا

فنفسك أكْرِمها وإن ضاق مسكنٌ
عليك لها فاطلب لنفسك مسكنا

وإياك والسُّكنَى بمنزل ذلة
يُعَدُّ مسيئًا فيه من كان مُحسنا[٤]

* * *

(١) المروءة الغائبة (ص: ٦٠).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٣) «عين الأدب والسياسة» (ص ١٣٢، ١٣٣).

(٤) أدب الدنيا والدين (ص: ٣٠٨).

العفو

وهذا من أعظم الأبواب لجلب المودة والمحبة بين العباد.

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [١].

فإذا قذفك شخص بمسبة فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب.

إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من الله ظهيرٌ عليه ما دمت على عفوك وإحسانك.

• إذا ظلمك شخص فتجاوز عنه:

* فإن الله يدافع عنك، فالله سبحانه وتعالى يدافع عن المظلوم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [٢].

*إن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه الكريم: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ [٣]، هذا في حق من عاقب بمثل ما عوقب به، لينصرنَّه الله!! فكيف بالذى ترك حقه كله لله؟!

• فالزم جانب العفو فإن العفو من شيم المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٥].

---

(١) سورة فصلت: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٨).

(٣) سورة الحج: الآية: (٦٠).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٥) سورة التغابن: الآية: (١٤).

وقال تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (١).

* وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» (٢).

* وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم ..» (٣).

* وصحَّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما تجرع عبدٌ جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى» (٤)(٥).

• النبي ﷺ يحض الأمة على العفو:

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (٦).

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «تعافوا (٧) فيما بينكم، فما بلغني من حَدٍّ فقد وجب (٨)» (٩).

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦٥٠٥) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٩٧).

(٤) رواه أحمد (٦٠٧٩) مسند المكثرين من الصحابة، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(٥) فقه الأخلاق/ الشيخ مصطفى العدوي (ص: ٨١، ٨٢).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) تعافوا: أمر بالعفو وهو التجاوز عن الذنب.

(٨) أي: وجب إقامته.

(٩) حسن: رواه أبو داود (٤٣٧٦) كتاب الحدود، والنسائي (٤٨٨٦) كتاب قطع السارق، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٩٥٤).

يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصـمت! ثم عاد عليه الكلام فصمت! فلما كان فى الثالثة قال: «اعفوا عنه فى كل يوم سبعين مرة»(١).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال(٢)، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً(٣)، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله(٤)»(٥).

* وقال صلى الله عليه وسلم: «من كـتم غيظـا، وهو قادر على أن ينفـذه، دعـاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يُخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء»(٦).

* وعن أنس بن مـالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال: «لا تبـاغضـوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكـونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجـر أخاه فوق ثلاثة أيام»(٧).

* وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تُفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيُغـفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجـلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فـيقال: أَنظروا هذين حـتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥١٦٤) كتـاب الأدب، والترمذى (١٩٤٩) كتـاب البر والصلة، وصحـحه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

(٢) «ما نقصت صـدقة من مال»: ذكروا فيه وجـهين: أحدهما معناه: أنه يبارك فـيه ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفـية. وهذا مدرك بالحس والعادة. والثانى أنه: وإن نقصت صورته، كان فى الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة.

(٣) «وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً»: فيه أيضًا وجهان: أحـدهما على ظاهره، ومن عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم فى القلوب، وزاد عزه وإكرامه، والثانى: أن المراد أجره فى الآخرة وعزه هناك.

(٤) «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»: فيه أيضًا وجهان: أحدهما: يرفعه فى الدنيا ويثبت له بتواضعه فى القلوب منزلة، ويرفعـه الله عند الناس ويجل مكانه. والثانى: أن المراد ثوابه فى الآخـرة رفعه فيـها بتواضعه فى الدنيـا. قال العلماء: وهذه الأوجه فى الألفاظ الثلاثة موجودة فى العـادة معروفة. وقد يكون المراد الوجهين معًا فى جميعها فى الدنيا والآخرة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) حسن: رواه أبو داود (٤٧٧٧) كتاب الأدب، والترمذى (٢٠٢١) كـتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٦) كتاب الزهد، وأحمد (١٥١٩٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٨).

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٦٥) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٩) كتاب البر والصلة والآداب.

هذين حتى يصطلحا»(١).

* وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٢).

• سلفنا الصالح ونعمة العفو والصفح:

* عن أبى بكر رضي الله عنه أنه قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديًا يوم القيامة فينادى: من كان له عند الله شىء فليقم ، فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس(٣).

* وقال معاوية رضي الله عنه: «عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال»(٤).

* دخل رجل على عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه ويقع فيه فقال له عمر: «إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هى، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها»(٥).

* وقال بعضهم: «ليس الحليم من ظُلم فحلم، حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظُلم فحلم حتى إذا قدر عفا»(٦).

* وقال الشافعى ـ رحمه الله ـ:

قالوا سكَتَّ وقد خوصمت قلت لهم
إن الجواب لباب الشر مفتاحُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب.
(٣) الإحياء (٣/ ١٩٥).
(٤) الإحياء (٣/ ١٩٥).
(٥) الإحياء (٣/ ١٨٣).
(٦) الإحياء (٣/ ١٩٦).

فالعفو عن جاهل أو أحمق أدب

نعم وفيه لصون العرض إصلاحُ

إن الأُسُود لتُخشى وهى صامتة

والكلب يُحثَى ويُرمى وهو نباحُ(١)

* وروى أن زيادًا أخذ رجلاً من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخًا له فقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى، ثم تلا: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (٢)، فقال زياد: «خلوا سبيله، هذا رجل قد لُقِّن حُجته»(٣).

* وروى أن راهبًا دخل على هشام بن عبد الملك، فقال للراهب: أرأيت ذا القرنين أكان نبيًّا؟. فقال: لا، ولكنه إنما أُعطى ما أُعطى بأربع خصال كُنَّ فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفَّى، وإذا حدَّث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد(٤).

* **قال رجل للفضيل بن غزوان**(٥): إن فلانًا يقع فيك. قال: لأغيظن من أمره، غفر الله له.

قيل له: من أمره؟

قال: الشيطان(٦).

* **عن على بن أبى طالب ﷺ فى قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ**

(١) الإحياء (٣/ ١٩٦).

(٢) سورة النجم: الآيات: (٣٦-٣٨)

(٣) الإحياء (٣/ ١٨٤).

(٤) الإحياء (٣/ ١٨٤).

(٥) كوفى ثقة، حديثه فى الكتب الستة، من كبار الطبقة السابعة، توفى بعد سنة ١٤٠هـ.

(٦) إسناده صحيح: رواه ابن أبى الدنيا فى «الإشراف فى منازل الأشراف» (٣٣٦).

الْجَمِيلَ﴾[١]، قال: الرضا بغير عتاب[٢].

* **قال ابن تيمية رحمه الله:** ذكر الله تعالى فى كتابه الصبر الجميل والصفح الجميل، والهجر الجميل.. الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذى لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذى لا أذى معه[٣].

وما أجمل ما قيل فى العفو من النظم:

سأُلزم نفسى الصفح عن كل مذنب
وإن كَثُرت منه إلىَّ الجرائمُ

فما الناس إلا واحدٌ من ثلاثة
شريفٌ، مشروفٌ، ومِثْلٌ مقاومُ

فأما الذى فوقى فأعرف فضله
وأتبعُ فيه الحقَّ، والحقُّ لازمُ

وأما الذى دونى فإن قال صُنْتُ عن
إجابته عِرضى، وإن لام لائمُ

وأما الذى مثلى فإن زَلَّ أو هفا
تفضلت، إن الحلم للفضل حاكمُ[٤]

* * *

(١) سورة الحجر: الآية: (٨٥).

(٢) الدر المنثور (٥/ ٩٤).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١٦٧) بتصرف.

(٤) «روضة العقلاء» (ص١٦٦).

الوفاء

ولا شك أن الناس يحبون الإنسان الوفى، فمن كان وفيًّا وصل إلى قلوب الناس وأحبوه.

* والوفاء من شيم النفوس الكريمة،... والوافى قريب من الله، قريب من الناس، وَقلَّ من يتصف بهذا الخلق العظيم، كما قيل(١).

«سألت الناس عن خِلٍّ وفىٍّ فقالوا: ما إلى هذا سبيلُ
تمسك - إن ظفرت - بذيل حُرٍّ فإن الحر فى الدنيا قليلُ»

فى رحاب الوفاء

إن الوفاء نعمة جليلة يمتن الله بها على من يشاء من عباده... فمن أوفى بعهد الله من توحيده وإخلاص العبادة له أوفى الله بعهده من توفيقه إلى الطاعات والعبادات ولذا قال رب الأرض والسموات - جل وعلا-: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾(٢).

وأهل الوفاء هم أهل البر والصدق والتقوى فلقد وصف الحق -جل وعلا- أهل البر فكان من بين أوصافهم ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ ثم ختم الآية بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٣).

---

(١) طريقنا للقلوب / للحاشدى (ص ١٢٣).

(٢) سورة النحل: الآية: (٩١).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٧٧).

وأهل الوفاء هم أهل الفردوس الأعلى فلقد وصف الله عباده المؤمنين بصفات جليلة وكان من بينها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ثم قال بعدها ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

أنواع الوفاء

• والوفاء ثلاثة أنواع:

١- الوفاء مع الله - عز وجل-: وذلك بأن يحقق العبد التوحيد لله -جل وعلا- وأن يخلص النية في أعماله التي يتقرب بها إلى الله وأن ينفذ كل أوامر الحق -جل وعلا- وأن ينتهى عن كل ما نهى الله عنه.

٢- الوفاء مع رسول الله ﷺ: وذلك بأن يحقق العبد الاتباع المطلق لرسول الله ﷺ وذلك بأن يقتدى ويتأسى بالنبى ﷺ فى كل أقواله وأفعاله.

٣- الوفاء مع الناس: وذلك بأن يكون وفيًا مع كل من حوله فى العهود والعقود والوعود وأن يكون وفيًا مع كل من أحسن إليه وذلك من باب قول النبى ﷺ: **«من لم يشكر الناس لم يشكر الله»**[2].

الوفاء من صفات الأنبياء

وإن أنبياء الله - صلوات ربى وسلامه عليهم- لهم الحظ الأوفى من الوفاء فلقد وصف الله خليله إبراهيم -عليه السلام- بقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾[3] أى: وفَّى بكل شيء وكمَّل العبودية لله -جل وعلا-.

*** وقال - جل وعلا - عن إسماعيل - عليه السلام -:** ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

(١) سورة المؤمنون: الآيات: (٨، ١١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٩٥٥) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠٨٨٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

(٣) سورة النجم: الآية: (٣٧).

إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ (١).

- بل ها هو موسى - عليه السلام- الذى لما لقى الرجل الصالح من أهل مدين وعرض عليه أن يزوجه إحدى ابنتيه على أن يعمل عنده برعى الغنم ثمانى سنين أو عشرًا فما كان من موسى - عليه السلام- إلا أن وفَّى بأكمل وأفضل الأجلين مع أن الأمر كان على الخيار.

روى البخارى: عن سعيد بن جبير، قال: سألنى يهودى من أهل الحيرة: أى الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدرى حتى أقدم على حَبر العرب فأسأله. فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله إذا قال فعل(٢).

فى رحاب سيد الأوفياء ﷺ

لقد كان النبى ﷺ سيد الأوفياء وكان يحض الأمة على الوفاء فى كل شىء فكان يعلم الأمة كيف يكون الوفاء مع الله - عز وجل- أولاً.

* **روى مسلم عن عائشة قالت:** كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه. قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: **«يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا»**؟!!(٣).

- وكان يرتقى بأرواح المؤمنين إلى جنة رب العالمين - جل وعلا-.

فها هو ﷺ يقول: «اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة -وكان من بينها- **وأوفوا إذا وعدتم»**(٤).

- وكان ﷺ يحذر من الغدر ونقض العهود والوعود فقال ﷺ -

---

(١) سورة مريم: الآية: (٥٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٦٨٤) كتاب الشهادات.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١١٣٠) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠١٨).

كما فى الصحيحين-: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**» زاد فى رواية لمسلم: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»(١).

- ولما سأل هرقل أبا سفيان -كما فى الصحيحين- عن النبى ﷺ وكان أبو سفيان وقتها على الشرك... فقال له هرقل: فماذا يأمركم؟ - يعنى: النبى ﷺ- فقال أبو سفيان: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة (٢).

- وكان النبى ﷺ ينهى عن الغدر حتى فى الحروب...

روى مسلم أن النبى ﷺ كان إذا أمَّر أميرًا على سرية أمره فى نفسه بتقوى الله ثم قال: «**اغزوا باسم الله وفى سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا لا تغلُّوا ولا تغدروا...**»(٣).

صور مضيئة من وفائه ﷺ

عن أبى رافع رضي الله عنه **قال:** بعثتنى قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأيت رسول الله ﷺ أُلقى فى قلبى الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إنى واللَّه لا أرجع إليهم أبدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**إنى لا أخيس(٤) بالعهد، ولا أحبس البُرد(٥)، ولكن ارجع، فإن كان فى نفسك الذى فى نفسك الآن، فارجع**» قال: فذهبت، ثم أتيت النبى ﷺ فأسلمت(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٤) أخيس: أنقض.

(٥) البُرد: جمع بريد وهو الرسول.

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٥٨) كتاب الجهاد، وأحمد (٢٣٣٤٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٠٢).

* **وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال:** ما منعنى أن أشهد بدرًا إلا أنى خرجت أنا وأبى حُسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «**انصرفا... نفى لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم**»[١].

* وها هو المغيرة بن شعبة الذى كان قد صحب قومًا فى الجاهلية فشربوا الخمر فقام عليهم فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم وأراد أن يعطى المال للنبى ﷺ فقال له النبى ﷺ -كما فى الصحيحين-: «**أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شىء**»[٢]. وذلك لأنه أُخذ غدرًا.

* **وروى البخارى عن جبير بن مطعم بن عدى ﷺ أنه قال:** إن النبى ﷺ قال فى أُسارى بدر: «**لو كان المطعم بن عدى حيًّا ثم كلمنى فى هؤلاء النَّتنى[٣] لتركتهم له**»[٤].

* وإنما قال النبى ﷺ ذلك اعترافًا منه بالجميل لما أدخله فى جواره بعد أن ردَّه أهل الطائف.

أين نحن من الوفاء

وأخيرًا: أين نحن من خُلق الوفاء؟ أين الوفاء مع الله؟ هل حققنا العبودية لله - جل وعلا- أم أننا عشنا من أجل جمع حُطام الدنيا الزائل؟.

- أين الوفاء مع رسول الله ﷺ؟ هل عشنا على سنته أم أننا ذهبنا نتشبه بالشرق والغرب وتركنا مصدر عزنا ومعين كرامتنا ووجودنا؟.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٧) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

(٣) المراد بهم أسرى بدر من المشركين.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣١٣٩) كتاب فرض الخمس، و(٤٠٢٤) كتاب المغازى.

- أين الوفـاء مع الوالدين؟ أما سـمعنا قـول الله - جل وعلا-: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ (١).

- أين الوفاء مع كل من علمنا علمًا نتقرب به إلى الله - عز وجل-؟.

لقد كان الإمام أحمد يستغـفر للإمام الشافعى طوال حياته حتى لقى ربه - عز وجل- وفاءً له.

- أين الوفاء مع كل من أحسن إلينا؟.

إننا فى حـاجة إلى أن نُعلم الـكون كله أن الإسلام هو دين الوفـاء وأن رسولنا ﷺ هو سيد الأوفياء.

* فأسأل الله -جل وعلا- أن يرزقنا خُلق الوفاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

اصطناع المعروف والمواساة

لا شك أن الناس جميعًا يحبون من أحسن إليهم أو اصطنع معروفًا لهم أو كان مواسيًا لهم بأى صورة كانت.

*** أنواع المواساة:**

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: المواساة للمؤمنين أنواع:

الأول: مواساة بالمال.

الثانى: مواساة بالجاه.

الثالث: مواساة بالبدن والخدمة.

الرابع: مواساة بالنصيحة والإرشاد.

الخامس: مواساة بالدعاء والاستغفار لهم.

السادس: مواساة بالتوجع لهم.

قال: وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوى قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له.

ودخلوا على بِشر الحافى فى يوم شديد البرد، وقد تجرد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لى ما أُواسيهم، فأحببت أن أواسيهم فى بردهم»[1].

قال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحبُّ الأعمال إلى الله سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه دينًا، أو تطرد

---

(١) الفوائد (ص ٢٢٤).

عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومَن كفَّ غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا - ولو شاء أن يُمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يُثبتها [(١)] له، أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يُفسد الخلُّ العسلَ» [(٢)].

من المواساة جبرُ خاطر المسلم وإدخال السرور على قلبه:

لما كانت المواساة لا تقتصر على مشاركة المسلم لأخيه في المال والجاه أو الخدمة والنصيحة .. أو غير ذلك فإن من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصة في أوقات حزنه، وعند تعرضه لما يُعكر صفوه، وهنا فإن إدخال السرور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطيبة، أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه، أو المشاركة الوجدانية هو من أعظم المواساة وأجلِّ أنواعها، وقد كان ﷺ يُواسي بالقليل والكثير، وقد علمنا ﷺ أن من أقال مُسلمًا من عثرته أقال الله عثرته، وأن الله عز وجل لا يزال في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه.

إن حاجة المسلم تتنوع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهناك من تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة، وهناك من تكون حاجته إلى كلمة طيبة، وهناك من تكون حاجته إلى دفع الظلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلى مشاركة الناس له في أتراحه وأفراحه، وهناك من تكون حاجته في وضع الدَّين عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات وكل ذلك يدخل في إطار القاعدة العامة للمواساة، وهي أن يكون المسلم في حاجة أخيه، وعلى المسلم أن يعرف أن فائدة هذه المواساة لا ترجع إلى

---

(١) يثبتها: أي يقضيها.

(٢) حسن: الطبراني في الكبير (١٠/ ٣١٩، رقم ١٠٧٧٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٠٦).

صاحب الحاجة (المواسَى) فقط، وإنما تشمل أيضًا المواسِي لأن الله عز وجل يقف إلى جانبه ويكون فى حاجته، هذا فى الدنيا، ويجازيه عليها أفضل جزاء يوم القيامة، وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن من لقى أخاه بما يحب ليسُرَّهُ بذلك سرَّهُ الله عز وجل يوم القيامة، لقد حفلت سير أعلام النبلاء بنماذج مشرفة من المواساة، ومن تأمل هذه الصفحات المشرقة التى حفلت بها سير هؤلاء يتضح أن مجالسة المساكين والتحدث معهم فيه جبر خاطرهم وإدخال السرور عليهم، وإذا كان الإنسان واجدًا فإنه كان يتكفل بنفقة هؤلاء وإعالتهم مع المحافظة على كرامتهم وتقديم المعونة لهم سرًّا [١].

*** واصطناع المعروف للناس يقى من مصارع السوء فى الدنيا.**

لقول رسول الله ﷺ : «عليكم باصطناع المعروف، فإنه يمنع مصارع السوء» [٢].

* ولذلك ينبغى على كل مسلم أن يحرص على اصطناع المعروف ومواساة الناس من حوله ولو بالقليل .. فرُب عملٍ قليل تُكثره النية الصالحة فقد قال رسول الله ﷺ : «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**» [٣].

* ومنَ المعلُوم أن اصطناع المعروف من أعظم سُبل النجاة من كُرب يوم القيامة ومن أسباب الفوز بستر الله فى الدنيا والآخرة.

لقول رسول الله ﷺ : «من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما

---

(١) نضرة النعيم (٨/ ٣٤٦٠).

(٢) صحيح: ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج (ص ٢٥ ، رقم ٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٠٥٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

كان العبد فى عون أخيه»[١].

* وها هو النبى ﷺ يحضنا أكثر وأكثر على اصطناع المعروف ومواساة الناس من حولنا.

* عن أبى هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من أقال مسلمًا أقال الله عثرته**»[٢].

* وعن عبد الرحمن بن أبى بكر رضي الله عنهما أن أصحاب الصُّفَّة كانوا ناسًا فقراء، وإن رسول الله ﷺ قال مرة: «**من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثلاثة. ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس ..**»[٣].

* **عن أنس قال:** لما قدم النبى ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله ما رأينا قومًا أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة، وأشركونا فى المهنأ حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبى ﷺ: «**لا، ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم**»[٤].

* **وعن أبى سعيد الخدرى** رضي الله عنه **قال:** بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: «**من كان معه فضل ظهرٍ**[٥] **فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له**» قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحدٍ منا فى فضلٍ[٦].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٦٠) كتاب البيوع، وابن ماجه (٢١٩٩) كتاب التجارات، وأحمد (٧٣٨٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠٧١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٨١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٥٧) كتاب الأشربة.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٨٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (١٢٦٦٢) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

(٥) الظهر: يراد به ما يركب من الدواب وخصه اللغويون بالإبل. والفضل: ما زاد عن الحاجة.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٧٢٨) كتاب اللقطة.

* **عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفـتاه: إذا أتيت مُعسـرًا فتجاوز عنه، لعل الله يتـجاوز عنا، فلقى الله تعالى فتجاوز عنه»**[(١)].

* **وعن عثـمان بن عـفان رضي الله عنه أنه قـال وهو يخطب**: إنا والله قد صـحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر والحضر، يعـود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويُواسـينا بالقليل والكثيـر، وإن ناسًا يُعلمـونى به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط»[(٢)].

* **بل هذا حال سلفنا الصالح مع المواساة:**

* **عن شعبة رضي الله عنه قال**: لما توفى الزبير لقى حكيم (بن حزام) عبد الله بن الزبير، فقال: كم ترك أخى من الدَّين؟ قال: ألف ألف، قال: علىَّ خمسمائة ألف[(٣)].

* **عن أبى حمزة الثـمالى رضي الله عنه قال**: إن على بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين فى الظلمة، ويقول: إن الصدقة فى سواد الليل تطفئ غضب الرب[(٤)].

* **عن عمـرو بن ثابت رضي الله عنه قال**: لما مات على بن الحسـين وجدوا بظهره أثرًا مما كان ينقل الجُرب[(٥)] بالليل إلى منازل الأرامل[(٦)].

* **عن محمد بن إسحاق رضي الله عنه قال**: كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مـات على بن الحسين، فقدوا ذلك الذى كانوا يؤتَون بالليل[(٧)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٨٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٥٦٢) كتاب المساقاة.

(٢) رواه أحمد (٥٠٦) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٣) نزهة الفضلاء (١/٢١٩).

(٤) نزهة الفضلاء (١/٤٠٦).

(٥) الجرب جمع جريب وهو وعاء يحمل فيه الطعام والدقيق ونحوهما.

(٦) نزهة الفضلاء (١/٤٠٦، ٤٠٧).

(٧) نزهة الفضلاء (١/٤٠٦).

* **وقال شيبة بن نعامة:** لما مات عليٌّ (بن الحسين) رضي الله عنهما وجدوه يعول مائة أهل بيت، . . . قال الذهبي: قلت ولهذا كان يُبخَّلُ فإنه كان ينفق سرًّا ويظن أهله أنه كان يجمع الدراهم(١).

* **عن محمد بن على بن الحسن رضي الله عنهم قال:** أراد جارٌ لأبى حمزة السُكرى أن يبيع داره، فقيل له: بكم؟ قال: بألفين ثمن الدار، وبألفين جوار أبى حمزة، فبلغ ذلك أبا حمزة، فوجَّه إليه بأربعة آلاف، وقال: لا تبع دارك(٢).

* **قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى:** المواساة من أخلاق المؤمنين(٣).

* قال أبو الأعرج رضي الله عنه لقد رأيتنا فى مجلس زيد بن أسلم رضي الله عنه - أربعين فقيهًا أدنى خصلة فينا التواسى بما فى أيدينا، وما رأيتُ فى مجلسه ممارين ولا متنازعين فى حديث لا ينفعنا (٤).

* **عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:** كنا نُسمى جعفرًا أبا المساكين كان يذهب إلى بيته، فإذا لم يجد لنا شيئًا، أخرج لنا عُكة أثرها عسل، فنشقُّها ونلعقها(٥).

* **قال الذهبى:** قيل: كانت لأبى برزة الأسلمى جفنة من ثريد غُدوة، وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين(٦)

* * *

(١) نزهة الفضلاء (١/ ٤٠٧).

(٢) نزهة الفضلاء (١/ ٥٩٥).

(٣) حلية الأولياء (٧/ ٣٧٠)

(٤) نزهة الفضلاء (١/ ٤٩٣).

(٥) المرجع السابق (١/ ٣٩).

(٦) المرجع السابق (١/ ٢١٦).

تقدير الناس

إن الإنسان بطبعه يحب من يُقدره ويحترمه ويعرف قدره ومكانته فإذا قابلت إنسانًا بحفاوة وتقدير وطلاقة وجه فإن قلبه ينفتح لك ويحبك . . وإذا أحبك استجاب لدعوتك إياه إلى الخير والصلاح.

* **ومن التقدير**: تقدير الصغير لمن هو أكبر منه سنًّا وأكثر منه فضلاً فلا بد أن يتعامل معه بكل تقدير واحترام ولا يتجاوز حدود الأدب معه.

ولا يتفاخر عليه بأنه أكثر منه علمًا . . ولذلك فإن ابن عمر لما عرف جواب سؤال رسول الله ﷺ عن الشجرة التى تشبه المؤمن لم يُجب، يقول: «فأردت أن أقول: هى النخلة، فإذا أنا أصغر القوم، فسكتُّ»[1].

* **ومن التقدير: تقدير العلماء وطلبة العلم.**

قال رسول الله ﷺ: «ليس منا[2] من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحبًا بوصية رسول الله وأقنوهم[4]»[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٨١١) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) قال بعض أهل العلم: معنى قول النبى ﷺ: «ليس منا» يقول: ليس من سنتنا، ليس من أدبنا، وكان سفيان الثورى ينكر هذا التفسير: ليس منا: ليس مثلنا.

قلت: ولله در الثورى فقيهًا! فما أبعد هذا التفسير عن الحق! فهل من يُجل الكبير، ويرحم الصغير، ويعرف للعالم حقه - يماثل الرسول ﷺ وصحبه؟!

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٤٩) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٤٤٣).

(٤) أقنوهم: أى علموهم وأفتوهم.

(٥) حسن: رواه ابن ماجه (٢٤٨) فى مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٥١).

اطلـب العلـم وحــصِّـله، فــمن
يعــرف المقـصـود يـحـقـر مــا بذلْ
لا تَـقُـل: قــــد ذهـبت أربـابـه
كل مـن ســار عـلى الـدرب وصلْ
فى ازديـاد العـلم إرغـــامُ العِـــدا
وَجـمــال العلـم إصـلاحُ العـــملْ

* * *

سلامة الصدر

إذا أردت أن تَسلم لك صدور إخوانك المسلمين فاحرص على أن يكون صدرك سليمًا لكل إخوانك.

فسلامة الصدر نعمة جليلة تجلب للعبد محبة الناس من حوله.

* وإن أدنى ثمرات المحبة التى يغرسها الإيمان فى قلب المؤمن هى سلامته من الغل والحسد، فإن أنوار الإيمان كفيلة أن تُبدد دياجير الحسد من قلبه، وبذلك يُمسى ويُصبح سليم الصدر، نقى الفؤاد، يدعو بما دعا به الصالحون: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

والمؤمن لا يحسد، لأنه يحب الخير لعباد الله جميعًا، وهو لا يعارض ربه فى رعاية خلقه أو تقسيم رزقه ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[2].

إنه مؤمن بعدل ربه فيما قسَّمَ من حظوظ، وما وزع من مواهب، ويعتقد أن قضاءه تعالى فى خلقه صادر عن حكمة بالغة يعرف منها ويجهل، وقد قيل: «الحاسد جاحد، لأنه لم يرضَ بقضاء الواحد» ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[3].

قال الحسن البصرى: يا ابن آدم، لِمَ تحسد أخاك؟ فإن كان الذى أعطاه الله لكرامته عليه فلماذا تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك فلِمَ تحسد مَن مصيره إلى النار؟

---

(١) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٣٠).

(٣) سورة النساء: الآية: (٥٤).

وقال ابن سيرين: ما حسدتُ أحداً على شيء من أمر الدنيا . . إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى جنب الجنة؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على الدنيا وهو يصير إلى النار؟[١].

* ومن درر العلامة ابن قيم الجوزية - يرحمه الله - قوله فى سلامة الصدر: «مشهد شريف جداً لمن عرفه، وذاق حلاوته، وهو ألا يشتغل قلبه وسرُّه بما ناله من الأذى، وطلب الوصول إلى درك ثأره، وشفاء نفسه، بل يفرغ قلبه من ذلك، ويرى أن سلامته وبرده وخُلُوَّه منه أنفع له، وألذ وأطيب، وأعون على مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء، فاته ما هو أهم عنده، وخير له منه، فيكون بذلك مغبونًا، والرشيد لا يرضى بذلك، ويرى أنه من تصرفات السفيه، فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوساوس، وإعمال الفكر فى إدراك الانتقام؟»[٢].

ومن جميل ما يُذكر فى هذا قول المقنَّع الكندى:

وإن الذى بينى وبين بنى أبى
وبين بنى عمى لمختلفٌ جداًّ
إذا قدحوا لى نارَ حربٍ بزندهم[٣]
قدحت لهم فى كل مَكْرُمةٍ زندا
وإن أكلوا لحمى، وفَرتُ لحومهم
وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا[٤]

---

(١) الإيمان والحياة / د. يوسف القرضاوى (ص: ١٧٦، ١٧٧) بتصرف.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٢٠).

(٣) «الزند»: العود الأعلى الذى يقدح به النار، جمعه زناد وأزناد.

(٤) «روضة العقلاء» (ص١٧٣، ١٧٤)، وانظر «بهجة المجالس» (٢/ ٧٨٤، ٧٨٥).

*** سلامة الصدر فى حياة الصحابة رضي الله عنهم :**

* قال سفيان بن دينار لأبى بشير (وكان من أصحاب على بن أبى طالب رضي الله عنه : «أخبرنى عن أعمال من كان قبلنا».

قال: «كانوا يعملون يسيرًا، ويؤجرون كثيرًا».

فقال سفيان: «ولِمَ ذلك؟!». قال: «لسلامة صدورهم»[1].

* فسلامة الصدر كانت من الصفات البارزة فى حياة الصحابة رضي الله عنهم .

فعن **أنس** رضي الله عنه **قال:** كنا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضًا فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إنى لاحيت أبى فأقسمت أنى لا أدخل عليه ثلاثًا فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت، قال: «**نعم**» . . .

قال أنس: فكان عبد الله يُحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعارَّ - تقلب على فراشه - ذكر الله وكبّر حتى يقوم لصلاة الفجر . . قال عبد الله: غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرًا. فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك الثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به فلم أركَ

(١) أخرجه هناد فى «الزهد» (٢/ ٦٠٠).

تعمل كبيــر عمل فما الذى بلغ بك ما قال رســول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. فلما وليت دعانى فقــال: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحــدٍ من المسلمين غشًّا ولا أحســد أحدًا على خيــر أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فهذه التى بلغت بك وهى التى لا تُطاق [1]

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد والنسـائى وقال الحافظ ابن كثيـر فى تفسيره (٤/٣٣٨): وهذا إسناد صـحيح على شرط الصحيحين.

ستر عيوب الناس وسقطاتهم

من المعلوم أن العصمة دُفنت يوم أن دُفن النبى محمد ﷺ . . وأنه ما من مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة.

فإذا وقع العبد فى ذنب أو كان به عيب لا يحب أن يراه الناس فإنه يحب من يستر عليه ذنوبه وعيوبه ويبغض من يكشف ستره أمام الناس ومن ثَمَّ فإذا أردت أن يحبك الناس من حولك وأن تفوز بالأجر والثواب فى الدنيا والآخرة فاحرص كل الحرص على أن تستر عليهم عيوبهم وأن تستر عليهم ذنوبهم مع تقديم النصيحة الرقيقة ليتوب من هذا الذنب.

فالستر صفة فى الإنسان يحبها الله، . . . فعن يعلى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله عز وجل حليمٌ حَيىٌّ ستِّيرٌ يحب الحياء والستر»**[1].

قال الإمام السندى رحمه الله: معناه أنه سبحانه وتعالى تارك للقبائح، ساتر للعيوب والفضائح يحب الحياء والستر من العبد؛ ليكون متخلقًا بأخلاقه تعالى»[2].

* بل لقد أخبر النبى ﷺ أن الذى يستر أخاه المسلم فإن الله (عز وجل) يستره فى الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ : «من ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة»[3][4].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٠١٢) كتاب الحمام، والنسائى (٤٠٦) كتاب الغسل والتيمم، وأحمد (١٧٥٠٧) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى.

(٢) حاشية السندى على سنن النسائى (١/ ٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) فائدة: هذا لا يعنى أن نترك النصيحة لمن نستره فيما بيننا وبينه، فإذا قبل النصيحة، وانتهى عن فعله، وجب الستر عليه، كما أفاد النووى وابن حجر بقوله: «والذى يظهر أن الستر محله فى =

* **قال ابن حجر**: والذى يظهر أن الستر محله فى معصية قد انقضت، والإنكار فى معصية قد حصل التلبُّس بها فيجب عليه الإنكار وإلا رفعه إلى الحاكم(١).

وقال الإمام النووى: المراد بالستر الستر على ذوى الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك، فيستحب ألا يستر عليه بل يرفع قضيته إلى ولى الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدةٌ؛ لأن الستر على هذا يُطمعه فى الإيذاء والفساد . . وأما جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم، فلا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح فى أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة(٢).

* وحتى لا تشيع الفاحشة فى المجتمع المسلم فإنه ينبغى على كل مسلم أن يستر على نفسه أولاً ثم يستر على إخوانه . . فإذا أذنب العبد فستره الله (جل وعلا) فعليه أن يستتر بستر الله ولا يفضح نفسه بل يسرع إلى التوبة الصادقة التى تجعله يفوز بمغفرة الله ورحمته.

- فإذا ستر المسلم نفسه فإنه يَسلم بذلك من ألسنة الناس ومن سخط الله (جل وعلا) . . فإن الله يستر من ستر نفسه ولا يحب من يجهر بمعصيته.

= معصية قد انقضت، والإنكار فى معصية قد حصل التلبس بها، فيجب الإنكار، وإلا رفعه إلى الحاكم» (فتح البارى) (٥/ ٩٧).

وقال النووى - رحمه الله - فى شرحه لهذا الحديث: «وأما الستر المندوب إليه هنا، فالمراد به الستر على ذوى الهيئات ونحوهم، ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك، فيستحب ألا يستر عليهم، بل ترفع قضيته إلى ولى الأمر - إن لم يخف من ذلك مفسدة - لأن الستر على هذا يُطمعه فى الإيذاء والفساد، وانتهاك الحرمات، وجسارة غيره على مثل فعله . . وأما جرح الرواة، والشهود، والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام، ونحوهم - فيجب جرحهم عند الحاجة، ولا يحلُّ الستر عليهم، إذا رأى منهم ما يقدح فى أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة». «شرح النووى على مسلم» (١٦/ ١٣٥).

(١) الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٧)، وفتح البارى (٥/ ١١٧)، (حديث ٢٤٤٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (١٦/ ١٣٥)، وانظر الآداب الشرعية (١/ ٢٣٥).

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يُدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: أي رب. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطَى كتاب حسناته**»[١].

* ولذلك أخبرنا النبي ﷺ بهذا المشهد المهيب من مشاهد يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل أمتي مُعافَى إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يُصبح قد ستره ربه، فيقول: يا فلان، قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيبيت يستره ربه، ويُصبح يكشف ستر الله عنه**»[٢].

* ولقد بلغ من حرص النبي ﷺ على أن يستر المسلم نفسه وأن يعيش كريمًا بين الناس مستترًا بستر الله أنه حين جاءه رجلٌ يقول: «يا رسول الله، إني أصبت حدًّا، فأقمه عليَّ».

يقول أنس بن مالك: «ولم يسأله عنه»[٣] وبعد الصلاة كرر الرجل مقالته، فقال رسول الله ﷺ: «**أليس قد صليت معنا؟**». قال: «نعم».

قال: «فإن الله قد غفر ذنبك»[٤].

* ولذلك كان يحض الناس على أن يستر بعضهم على بعض.

* **عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة»**[٥].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤١) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٧٦٨) كتاب التوبة.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٦٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٩٩٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) **فائدة**: قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «وإنما لم يستفسره - أي لم يسأله ما هو الذنب الذي اقترفه - إما لأن ذلك يدخل في التجسس المنهي عنه، وإما إيثارًا للستر، ورأى أن في تعرُّضه لإقامة الحد ندمًا ورجوعًا». «الفتح» (١٢/ ١٣٤).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٢٣) كتاب الحدود، ومسلم (٢٧٦٤) كتاب التوبة.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٠) كتاب البر والصلة والآداب.

* **عن أبي برزة الأسلمي** ﷺ **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**»[١].

* **وعن أبي بكر الصديق** ﷺ **أنه قال:** «لو أخذت سارقًا لأحببت أن يستره الله، ولو أخذت شاربًا لأحببت أن يستره الله عز وجل»[٢].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٨٨٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٢٧٧) أول مسند البصريين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٨٤).

(٢) مكارم الأخلاق (ص ٤٩٣).

الجود والإيثار

لا شك أن الناس يحبون الرجل الكريم الجواد ويبغضون البخيل الشحيح فمن أراد أن يفوز بمحبة الناس فلا بد أن يكون كريمًا جوادًا.

ويكفى الجود أنه صفة من صفات الله سبحانه وتعالى.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى جواد، يحب الجود، ويحب معالى الأخلاق، ويكره سفسافها»[١].

وقال ﷺ: «إن الله كريم يحب الكُرماء، جواد يحب الجَوَدَةَ»[٢].

*ولقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس جميعًا.

* **عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:** كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسَلة[٣].

* **عن جابر بن عبد الله قال:** «ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا»[٤].

*وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبى ﷺ غنمًا بين جبلين. فأعطاه إياه. فأتى قومه. فقال: أى قوم. أسلموا، فوالله إن محمدًا ليعطى عطاءً ما يخاف الفقر[٥].

---

(١) **صحيح:** رواه البيهقى فى الشعب (٧/ ٤٢٦، رقم ١٠٨٤٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٤٤).

(٢) **صحيح:** رواه ابن عساكر (١٤/ ٢٨٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٠٠).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦) كتاب بدء الوحى، ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٠٢٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣١١) كتاب الفضائل.

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل.

* وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لو قد جاءنا مالُ البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا» وقال بيديه جميعًا فَقُبض النبى ﷺ قبل أن يجىء مال البحرين.

فقدم على أبى بكرٍ بعدهُ. فأمر مناديًا فنادى: من كانت له على النبى عِدةٌ أو دَينٌ فليأتِ. فقمت فقلت: إن النبى ﷺ قال: «لو قد جاءنا مالُ البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا» فحثى أبو بكر مرة، ثم قال لى: عدَّها. فعددتها فإذا هى خمسمائة. فقال: خُذ مثليها [1].

* وعن جبير بن مطعم ﷺ أنه قال: بينما أسيرُ مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله[2] من حنين فعلقت الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة[3] فخطفت رداءه، فوقف النبى ﷺ فقال: «أعطونى ردائى لو كان عدد هذه العضاه[4] نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدونى بخيلاً ولا كذوبًا ولا جبانًا»[5].

* وعن ابن شهاب ﷺ قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة. ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين. فاقتتلوا بحُنين. فنصر الله دينه والمسلمين. وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم. ثم مائة، ثم مائة ..

قال صفوان: والله! لقد أعطانى رسول الله ﷺ ما أعطانى، وإنه لأبغض الناس إلىَّ. فما برح يُعطينى حتى إنه لأحب الناس إلىَّ [6].

* وكان أصحاب النبى ﷺ على نفس الطريق يسيرون.

* عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٩٦) كتاب الحوالات، ومسلم (٢٣١٤) كتاب الفضائل.

(٢) مقفله: حين قفل عائدًا إلى مكة.

(٣) سمرة: أى ألجأوه إلى شجرة من شجر البادية ذات شوك.

(٤) العضاه: هو شجر ذو شوك.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٨٢١) كتاب الجهاد والسير.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٣) كتاب الفضائل.

نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندى، فقلت: اليوم أسبقُ أبا بكر، إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أُسابقك إلى شىءٍ أبدًا [1].

* **عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:** جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى مجهود[2] فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك. حتى قُلن كلهن مثل ذلك: لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء.

فقال: «من يضيف هذا الليلة، رحمه الله»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا، يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شىء؟ قالت: لا إلا قوت صبيانى. قال: فعلليهم بشىءٍ. فإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأَريه أنَّا نأكل. فإذا أهوى ليأكل فقومى إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف. فلما أصبح غدا على النبى ﷺ فقال: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**»[3].

* **قال أبو هريرة رضي الله عنه:** «ما احتذى البغال ولا انتعل ولا ركب المطايا ولا لبس الكور من رجلٍ بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبى طالب فى الجود والكرم»[4].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ثلاثة لا أُكافئهم: رجل بدأنى بالسلام، ورجلٌ

---

(١) حسن: رواه أبو داود (١٦٧٨) كتاب الزكاة، والترمذى (٣٦٧٥) كتاب المناقب، والدارمى (١٦٦٠) كتاب الزكاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

(٢) إنى مجهود: أى أصابنى الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٩٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٥٤) كتاب الأشربة.

(٤) صحيح الإسناد موقوفًا: رواه الترمذى (٣٧٦٤) كتاب المناقب، وأحمد (٩٠٨٩) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى، وقال: صحيح الإسناد موقوفًا.

وسع لى فى المجلس، ورجلٌ اغبرَّت قدماه من المشى إلى إرادة السلام علىَّ، أما الرابع فلا يكافئه عنى إلا الله».

قيل: «من هو؟».

قال: «رجلٌ نزل به أمرٌ، فبات ليلته يفكر بمن يُنزله، ثم رآنى أهلاً لحاجته، فأنزلها بى»[١].

* وله رضي الله عنه شعر فى هذا المعنى، يقول فيه:

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى

وأعمل فكر الليل، والليلُ عاكرُ

وباكرنى فى حاجة، لم يجد بها

سواى، ولا من نكبة الدهر ناصرُ

فَرَّجتُ بمالى هَمَّهُ من مقامه

وزايله هَمّ طروق مُسامرُ

وكان له فضلٌ علىَّ بظنه

بى الخير، إنى للذى ظن شاكرُ[٢]

*** سلفنا الصالح ونعمة الجود والإيثار:**

* عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما - وكان من الأجواد المعروفين - حتى إنه مرض مرةً فاستبطأ إخوانه فى العيادة[٣]، فسأل عنهم، فقالوا: إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدَّين، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة. ثم أمر منُاديًا يُنادى: من كان لقيس عليه مالٌ فهو فى

(١) «عيون الأخبار» (٤/ ١٧٦).

(٢) «العمدة فى محاسن الشعر، وآدابه، ونقده» لابن رشيق (١/ ٣٧).

(٣) العيادة: زيارة المريض.

حلٍّ. فما أمسى حتى كُسرت عتبة بابه لكثرة مَن عاده»[(١)].

* وعن حذيفة العدوى، قال: «انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شىءٌ من ماء وأنا أقول: إن كان به رمقٌ سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار إلىَّ أن نعم. فإذا رجلٌ يقول آه. فأشار ابن عمى إلىَّ أن انطلق به إليه فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه. فأشار هشام: انطلق به إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات... رحمة الله عليهم أجمعين[(٢)].

* وعن عائشة ﵂ زوج النبى ﷺ أن مسكينًا سألها وهى صائمة وليس فى بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تُفطرين عليه؟ فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلت. قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيتٍ أو إنسان ما كان يُهدَى لنا: شاةً وكفنها.

فدعتنى عائشة فقالت: كُلى من هذا، فهذا خيرٌ من قرصك[(٣)].

* عن مالك الدار: أن عمر بن الخطاب ﵁ أخذ أربعمائة دينار، فجعلها فى صُرة، ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح، ثم تلكأ ساعة فى البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها. فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه فى بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالى يا جارية اذهبى بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفدها. فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٠٤).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالى ٣ (٢٥٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٨).

(٣) القرطبى (١٨/ ١٩) وكفن الشاة: عجين بر تغطى به ثم تُعلَّق فى التنور فلا يخرج من الودك شىء. والودك: الدسم.

وقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل، وتلكأ فى البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه فى بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، وقال: يا جارية، اذهبى إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق فى الخرقة إلا ديناران فنحا [1] بهما إليها. فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسُرَّ بذلك عمر وقال: إنهم إخوةٌ بعضهم من بعض[2].

* **وحكى عن أبى الحسن الأنطاكى:** أنه اجتمع عنده نَيِّف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرى، ومعهم أرغفة معدودة لا تُشبع جميعهم، فكسروا الرغفان، وأطفئوا السراج، وجلسوا للطعام، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئًا، إيثارًا لصاحبه على نفسه[3].

* **عن ابن عمر ﷺ قال:** أُهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخى فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منا. فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحدٌ إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول فنزلت ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[4][5].

* **قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى:** بذل المجهود فى بذل الموجود منتهى الجود[6].

* قال الشافعى رحمه الله تعالى:

يا لهف قلبى على مالٍ أجود به

على المقلين من أهل المروءاتِ

(١) كذا فى رواية الطبرانى فى الكبير (٢/ ٣٣، ٣٤).
(٢) القرطبى (١٨/ ١٩).
(٣) المرجع السابق (١٨/ ٢٠).
(٤) الدر المنثور (٨/ ١٠٧).
(٥) سورة الحشر: الآية: (٩).
(٦) الإحياء (٣/ ٢٤٧).

إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى

ما ليس عندى لمن إحدى المصيبات[١]

*قال أبو محمد إسحاق الموصلى رحمه الله تعالى:

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصرى

فليس إلى ما تأمرين سبيلُ

أرى الناس خِلَّان الجواد ولا أرى

بخيلاً له فى العالمين خليلُ

وإنى رأيت البخل يُزرِى بأهله

فأكرمت نفسى أن يقال بخيلُ

ومن خير حالات الفتى لو علمته

إذا نال شيئًا أن يكون نبيلُ

عطائى عطاء المكثرين تَكرُّمًا

ومالى كما قد تعلمين قليلُ

وكيف أخاف الفقر أو أُحرم الغنى

ورأىُ أميرِ المؤمنين جليلُ[٢]

* وقال ابن حبان رحمه الله: «فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حطام هذه الدنيا الفانية، وعلم زوالها عنه، وانقلابها إلى غيره، وأنه لا ينفعه فى الآخرة إلا ما قدم من الأعمال الصالحة - أن يبلغ مجهوده فى أداء الحقوق فى ماله، والقيام بالواجب فى أسبابه، مبتغيًا بذلك الثواب فى العقبى، والذكر الجميل فى الدنيا، إذ السخاء محبة ومحمدة، كما أن البخل

---

(١) الإحياء (٣/ ٢٥١).

(٢) وفيات الأعيان (١/ ٢٠٤)، والبيتان الأخيران ذكرهما الذهبى فى ترجمته فى سير أعلام النبلاء (١١/ ١٢١).. وذكر أنه لما أنشدهما الرشيد أمر له بمائة ألف درهم.

مَذَمَّةٌ ومَبْغضةٌ، ولا خير فى المال إلا مع الجود، كما لا خير فى المنطق إلا مع المخبر»[١].

* وقال أيضًا: أجود الجود من جاد بماله، وصان نفسه عن مال غيره، ومن جاد ساد، كما أن من بخل رذل[٢].

الله أعطاك، فابذل من عطيته

فالمال عارية، والعمر رحالُ

المال كالماء، إن تحبس سواقيه

يأسن، وإن يجر يعذب منه سِلسالُ

* * *

(١) «روضة العقلاء» (ص ٢٣٥).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٣٦).

المواساة وتفريج الكُربات

ومن الوسائل التى تجعل الإنسان محبوبًا لكل من حوله: السعى لتفريج كُربات الناس.

فما من إنسان على وجه الأرض إلا وهو يعانى من كُربة تُنغص عليه حياته . . فمن سعى لتفريج كربته فإنه يحبه ولا ينسى له هذا المعروف أبدًا إن كان وفيًّا.

● **النبى ﷺ يحض الأمة على المواساة وتفريج هموم المسلمين:**

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يحض الأمة كلها على أن يواسى بعضهم بعضًا وعلى أن يسعى كل مسلم من أجل تفريج هم أخيه المسلم.

* **قال ﷺ : «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضى عنه دَينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة أحب إلىَّ من أن أعتكف فى المسجد شهرًا، ومن كفَّ غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل»[(١)] .**

* **وقال ﷺ : «من نفَّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا نفس الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا**

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/٤٥٣)، والأوسط (٦/ ١٤٠)، والصغير (٢/١٠٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٦).

والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد، ما كان العبد فى عون أخيه...»(١).

* وقال ﷺ : «من سره أن ينجيه الله من كرب(٢) يوم القيامة فلينفس(٣) عن معسر، أو يضع عنه»(٤).

* وقال رسول الله ﷺ : «الساعى على الأرملة والمسكين، كالمجاهد فى سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»(٥).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إن لله تعالى أقوامًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويُقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها، نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم»(٦).

* وعن أبى موسى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة».

قيل: أرأيت إن لم يجد؟

قال: «يعتمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدق».

قال: أرأيت إن لم يستطع؟

قال: «يُعين ذا الحاجة الملهوف».

قال: قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟

قال: «يأمر بالمعروف أو الخير».

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) كرب: جمع كربة، وهى الغم الذى يأخذ بالنفس.

(٣) فلينفس: أى يمد ويؤخر المطالبة، وفى ذلك تنفيس وتفريج الكربة، لأن التنفيس يعنى تفريج الكرب قال الجوهرى: «ونفست عنه تنفيسًا أى رَفَّهْتُ يقال: نَفَّس الله عنه كربته أى فَرَّجها. (الصحاح ٣/ ٩٨٤). ومعنى يضع عنه «أى يتنازل عن دَينه».

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٥٦٣) كتاب المساقاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٦) حسن: رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج (٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٦٤).

قال: أرأيت إن لم يفعل؟

قال: «**يُمسك عن الشر، فإنها صدقة**»(١).

* وقال ﷺ: «**من أقال مسلمًا أقال الله تعالى عثرته**»(٢).

* (عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضي الله عنه أن أصحاب الصُّفَّة كانوا ناسًا فقراء، وإن رسول الله ﷺ قال مرة: «**من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثلاثة، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس**» أو كما قال: وإن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق نبى الله ﷺ بعشرة، وأبو بكر بثلاثة..)(٣).

* (عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: «**من كان معه فضل ظهر(٤) فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له**» قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل)(٥).

* (عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كان رجل يُداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه، لعل الله يتجاوز عنا، فلقى الله تعالى فتجاوز عنه**»)(٦).

• حال النبى ﷺ مع خُلق المواساة:

وإذا أردنا أن نعرف حال النبى ﷺ مع خُلق المواساة وتفريج هموم

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٥) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٠٨) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٦٠) كتاب البيوع، وابن ماجه (٢١٩٩) كتاب التجارات، وأحمد (٧٣٨٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الإرواء (١٣٣٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٢) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٢٠٥٧) كتاب الأشربة.

(٤) الظهر: يراد به ما يركب من الدواب وخصه اللغويون بالإبل. والفضل: ما زاد عن الحاجة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٧٢٨) كتاب اللقطة.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٨٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٥٦٢) كتاب المساقاة.

المسلمين فحسبنا أن نعرف أن النبى ﷺ لما نزل عليه الوحى لأول مرة وذهب إلى خديجة وهو ترتعد فرائصه من الخوف وقال لها: «**والله لقد خشيت على نفسى يا خديجة**» فما كان منها إلا أن قالت: «**كلا والله ما** يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتُعين على نوائب الحق...»(١).

- فكان النبى ﷺ يفعل كل هذا قبل البعثة فما ظنك بحاله ﷺ بعد البعثة؟!

* إن النبى ﷺ هو صاحب أرحم قلب فى الكون كله... وحسبنا قول الله عز وجل فى وصف النبى ﷺ حين قال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾(٢) ... وقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾(٣).

• وبالمثال يتضح المقال:

- وإذا أردنا أن نلقى الضوء على بعض الصور من مواساة النبى ﷺ لمن حوله فإن ذلك يحتاج إلى مجلدات ولكن حسبنا أن نُلقى الضوء على بعض تلك المواقف الجليلة.

* (عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب: إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر، يعود مرضانا، ويتبعُ جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناسًا يُعلمونى به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط)(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٦١) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٤) حسن: رواه أحمد (٥٠٦)، وحسنه الشيخ أحمد شاكر (١/ ٣٧٨) وقال: إسناده حسن.

* (وعن عبد الله الهوزنى، قال: لقيت بلالاً مؤذن رسول الله ﷺ بحلب، فقلت: يا بلال، حدثنى كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟ قال: ما كان له شىء، كنت أنا الذى ألى ذلك منه منذ بعثه الله إلى أن توفى وكان إذا أتاه الإنسان مسلمًا فرآه عاريًا يأمرنى فأنطلق فأستقرض فأشترى له البردة فأكسوه وأطعمه...)[١].

• وتأمل معى هذا المشهد المؤثر:

* (عن جرير رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار. قال فجاءه قوم خفاة عراة مجتابى النمار[٢] أو العباء متقلدى السيوف، عامتهم من مُضر. بل كلهم من مضر. فتمعر[٣] وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة [٤] فدخل ثم خرج. فأمر بلالاً فأذن وأقام. فصلى ثم خطب فقال: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** إلى آخر الآية **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾**[٥]. والآية التى فى الحشر: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**[٦] **تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُره، من صاع تمره (حتى قال) ولو بشق تمرة،** قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب. حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذهَبَةٌ[٧]. فقال رسول الله ﷺ: **«من سن فى**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٠٥٥) كتاب الخراج والإمارة والفىء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

(٢) مجتابى النمار: نصب على الحالية أى لابسيها والنمار جمع نمرة وهى ثياب صوف فيها تنمير.

(٣) فتمعرَّ: تغير.

(٤) الفاقة: الحاجة.

(٥) سورة النساء: الآية: (١).

(٦) سورة الحشر: الآية: (١٨).

(٧) مُذْهَبَةٌ: من الشىء المُمَوَّه بالذهب، ويروى مُدْهُنة مؤنث مُدْهُن وهى النقرة فى رءوس الجبال يستنقع فيها الماء... شبه وجهه لإشراق السرور عليه بصفاء الماء المجتمع فى الحجر، وقيل: المدهنة ما يجعل فيه الدهن فيكون قد شبهه بصفاء الدهن.

الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»)[١] .

* بل تأمل معى موقفه ﷺ مع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عندما أراد سداد دَين والده بعدما استُشهد فى غزوة أحد.

فعن جابر رضي الله عنه قال: «لما حضر (أُحدٌ) دعانى أبى من الليل فقال: ما أُرانى إلا مقتولاً فى أول من يُقتل من أصحاب النبى ﷺ ، وإنى لا أترك بعدى أعزَّ علىَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ ، وإن علىَّ دَينًا فاقض واستوص بأخواتك خيرًا. . . فأصبحنا فكان أول قتيل، ودُفن معه آخر فى قبر ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعتُهُ هُنيَّة غير أُذنه»[٢] .

وفى رواية: أن جابر رضي الله عنه قال: فقلت: يا رسول الله إن أبى ترك دَينًا عليه. . . وليس عندى ما أفيه به إلا ما يُخرجه ثمرُ نخيله، ولو عمدت إلى وفاء دَينه من ذلك الثمر لما أديته فى سنين. . .

ولا مال لأخواتى أُنفقُ عليهن منه غير هذا.

فقام رسول الله ﷺ ومضى معى إلى بيدر[٣] **تمرنا وقال لى: «اُدعُ غرماء أبيك»**[٤]، فدعوتهم. فما زال يكيل لهم منه حتى أدى الله عن أبى دَينه كله من تمر تلك السنة. ثم إنى نظرت إلى البيدر فوجدته كما هو. . . كأنه لم تنقص منه تمرةٌ واحدةٌ [٥].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠١٧) كتاب العلم.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٣٥١) كتاب الجنائز.

(٣) البيدر: الموضع الذى يُكوم ويجمع فيه التمر.

(٤) غرماء: مفرده غريم: الدائن.

(٥) رواه ابن سعد (٣/ ٢/ ١٠٧) وأحمد (٣/ ٣٦٥) وأصلها فى البخارى.

الشفاعة الحسنة

إن الشفاعة الحسنة من أسهل الطرق لتأليف القلوب وترسيخ المحبة بين قلب الشافع والمشفوع له.

والشفاعة الحسنة هى التى ليس فيها إضرار بأحد، ولا سلب لحقوق أحدٍ، ولا تعدٍّ على حدٍّ من حدود الله، ولا تعطيل لحدٍّ. فالحدود متى وصلت إلى الحاكم، فلا شفاعة فيها؛ . . . لقول النبى ﷺ لأسامة لما شفع فى شأن المخزومية التى سرقت: «**أتشفع فى حدٍّ من حدود الله؟**».

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [(١)].

وعن **أبى موسى الأشعرى** رضي الله عنه **قال**: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالبُ حاجة، أقبل على جُلسائه، فقال: «**اشفعوا فلتؤجروا، وليقضِ الله على لسان نبيه ما شاء**» [(٢)].

* ولقد كان النبى ﷺ يشفع شفاعة حسنة لنتعلم منه الحرص على فعل هذا الخير.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدًا، يقال له مغيث، كأنى أنظر إليه يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبى ﷺ لعباس: «**يا عباس! ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا**».

فقال النبى ﷺ: «لو راجعته؟».

---

(١) سورة النساء: الآية: (٨٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٣٢) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٦٢٧) كتاب البر والصلة.

قالت: «يا رسول الله، تأمرني؟».

قال: «إنما أنا أشفع».

قالت: «فلا حاجة لى فيه»[(١)].

* **وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال:** إن أباه توفى وترك عليه ثلاثين وسقًا لرجل من اليهود فاستنظره جابرٌ فأبى أن يُنظره، فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له إليه، فجاء رسول الله ﷺ فكلم اليهودى، ليأخذ تمر نخله بالتى له فأبى، فدخل رسول الله ﷺ النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر: «**جُدَّ له فأوف له الذى له**» فجدَّه بعدما رجع رسول الله ﷺ فأوفاه ثلاثين وسقًا، وفضلت له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابرٌ رسول الله ﷺ ليخبره بالذى كان فوجده يُصلى العصر، فلما انصرف أخبره بالفضل، فقال: «**أخبر ذلك ابن الخطاب**» فذهب جابرٌ إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن فيها[(٢)].

* قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى لتلميذه مُهنًّا لما سأله فقال: رجل ظلمنى وتعدى علىَّ ووقع فى شىء عند السلطان أُعينُ عليه عند السلطان؟ قال أحمد: «لا، بل اشفع فيه إن قدرت».

قال: سرقنى فى المكيال والميزان أدُسُّ إليه من يوقفه على السرقة؟

قال أحمد: «إن وقع فى شىء فقدرت أن تشفع له فاشفع له»[(٣)].

* وكتب الحسن بن سهل كتاب شفاعة، فجعل الرجل يشكره، فقال الحسن: «يا هذا، علام تشكرنا؟، إنا نرى الشفاعات زكاة مروءتنا».

ثم أنشأ يقول:

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٥٢٨٣) كتاب الطلاق.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٢٣٩٦) كتاب فى الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٠٣).

فُـرضت عليَّ زكـاةُ مـا ملكت يدى
وزكـاة جـاهى أن أُعـيـن وأشـفـعـا
فـإذا ملكت فـجُـدْ، فـإن لم تستطع
فـاجهد بوسعك كله أن تشـفـعـا (١)

* **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:** نقل ابن عبد البر وغيره جواز الشفاعة فيما يقتضى التعزير(٢).

* **وقال ابن عبد البر أيضًا:** لا أعلم خلافًا أن الشفاعة فى ذوى الذنوب حسنة جميلة ما لم تبلغ السلطان، وأن على السلطان أن يقيمها إذا بلغته(٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ١٢٠).
(٢) الفتح (١٢/ ٩٠) بتصرف.
(٣) الفتح (١٢/ ٩٨).

السماحة

من المعلوم أن الرجل السمح يحبه الناس وترتاح إليه قلوبهم بل ويتعاملون معه بكل حُبٍّ.

والسماحة: هى أن يكون الإنسان سهلاً لينًا مع الناس فى المعاملة وذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها.

وقد دعا رسول الله ﷺ بالرحمة للرجل السمح، فقال: «**رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**»(١)، وفى رواية: «**وإذا قضى**».

ويُعلق ابن حجر على رواية البخارى بقوله: «السهولة والسماحة متقاربان فى المعنى، والمراد بالسماحة ترك المضاجرة ونحوها . . وإذا اقتضى: أى طلب قضاء حقه بسهولة، وعدم إلحاف. وإذا قضى: أى أعطى الذى عليه بسهولةٍ بغير مطل.

وفيه الحضُّ على السماحة فى المعاملة، واستعمال معالى الأخلاق، وترك المشاحنة، والحضُّ على ترك التضييق على الناس فى المطالبة، وأخذ العفو منهم»(٢).

* طبيعة النفس السمحة:

من طبيعة النفس السمحة أن يكون صاحبها هينًا لينًا يتقبل ما يجرى به القضاء والقدر بالرضا والتسليم، ويحاول أن يجد لكل ما يجرى به ذلك حكمة مرضية وإن كان مخالفًا لهواه ويراقب دائمًا قول الله تعالى: ﴿**فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾(٣)، وهو من أجل ذلك يستقبل كل

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٧٦) كتاب البيوع.

(٢) «فتح البارى» (٤/ ٣٠٢) عند شرحه للحديث.

(٣) سورة النساء: الآية: (١٩).

ما يأتيه من قِبل الله عز وجل بغاية الرضا، ويلاحظ جوانب الخير فى كل ما تجرى به المقادير، وهو لذلك يترقب المستقبل بتفاؤل وأمل كما يستقبل الواقع بانشراح لما يحب وإغضاء عما يكره وبذلك يُسعد نفسه ويريح قلبه، وهذا من كمال العقل؛ لأن العاقل هو الشخص الواقعى أى الذى يُسعد نفسه وقلبه بالواقع الذى لا يملك دفعه أو رفعه، ويعامل الناس بالتسامح لأنه لا يملك أن يطوع الناس جميعًا لما يريد لأنهم مثله ذوى طبائع متباينة وإرادات مختلفة[1].

*** مظاهر سماحة النفس:**

لسماحة النفس مظاهر عديدة أشار إلى أهمها صاحب الأخلاق الإسلامية ومنها:

أولاً: طلاقة الوجه واستقبال الناس بالبِشر.

ثانيًا: مبادرة الناس بالتحية والسلام والمصافحة وحُسن المحادثة؛ لأن من كان سمح النفس بادر إلى ذلك.

ثالثًا: حسن المصاحبة والمعاشرة والتغاضى عن الهفوات؛ لأن من كان سمح النفس كان حسن المصاحبة لإخوانه ولأهله ولأولاده ولخَدَمِه ولكل من يخالطه أو يرعاه[2].

*** النبى ﷺ يدعو الأمة إلى السماحة:**

*** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:** قال رسول الله ﷺ: **«اسمح يُسمح لك»**[3].

*** وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلاً**

(١) باختصار وتصرف عن الأخلاق الإسلامية لحبنكة الميدانى (٢/٤٥٧ - ٤٥٩).

(٢) بتصرف واختصار عن الأخلاق الإسلامية للميدانى (٢/٤٦٣ - ٤٧١).

(٣) رواه أحمد (١/٢٤٨)، واللفظ له وقال الشيخ أحمد شاكر (٤/٥٤): إسناده صحيح، والسيوطى فى الجامع الصغير (١٠٣٧) ونسبه للطبرانى والبيهقى فى الشعب.

سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»[(١)].

* **وعن أبى هريرة** ﷺ **قال:** كان لرجل على رسول الله ﷺ سنٌّ من الإبل، فجاءه يتقاضاه، فقال: «**أعطوه**» فطلبوا سنه، فلم يجدوا إلا سنًّا فوقها، فقال: «**أعطوه**»، فقال: أوفيتنى أوفى الله بك، فقال النبى ﷺ: «**إن خياركم أحسنكم قضاءً**»[(٢)].

وفى رواية: أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له فهمَّ به أصحابه، فقال: «**دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً، واشتروا له بعيرًا فأعطوه إياه**»[(٣)].

*ومن صور السماحة أن تحرص على ألا يقع الناس فى الحرج.

ففى الصحيح أن الصحابى الجليل أبا اليسر ﷺ كان له على رجل قرض، فلما ذهب لاستيفاء حقه، اختبأ الغريم فى داره، لئلا يلقى أبا اليسر، وهو لا يملك السداد، فلما علم أبو اليسر أن صاحبه يتخفى منه حياءً لعدم تمكنه من أداء ما عليه، أتى بصحيفة القرض فمحاه، وقال: «إن وجدت قضاء فاقضنى، وإلا فأنت فى حِلٍّ»[(٤)].

*عن عبد الله بن أبى قتادة، أن أبا قتادة طلب غريمًا له فتوارى عنه. ثم وجده. فقال: إنى مُعسر. فقال: آلله؟ قال: آلله. قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سرَّه أن ينجيه الله من كُرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع عنه**»[(٥)].

* **عن عطاء بن فروخ مولى القرشيين:** أن عثمان ﷺ اشترى من رجل

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٧٦) كتاب البيوع.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٣٩٣) كتاب فى الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٩٠)، واللفظ له، ومسلم (١٦٠١) كتاب المساقاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٠٠٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٥٦٣) كتاب المساقاة.

أرضًا فـأبطأ عليه، فلقيـه فقال له: مـا منعك من قبض مـالك؟ قال: إنك غبنتنى، فما ألـقى من الناس أحدًا إلا وهو يلومنى، قال: أَوَ ذلك يمنعك؟ قـال: نعم، قال: فـاختـر بين أرضك ومـالك، ثم قـال: قال رسـول الله ﷺ: **«أدخل الله عـز وجل الجنة رجلاً كـان سهـلاً مشـتريًا وبائعًـا، وقاضـيًا ومقتضيًا»**(١).

* * *

(١) حسن: رواه النسائى (٤٦٩٦) كتاب البـيوع، وابن ماجه (٢٢٠٢) كتاب التجـارات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤٣).

المـداراة

ترجع المداراة إلى حسن اللقـاء وحسن الكلام وتجنُّب ما يُشعـر بالغضب أو النفور فى حقٍّ من كان فى أخلاقـه شىء أو من تتوقع منه الأذى فالمداراة من أعظم الوسـائل التى نكسب بهـا القلوب المتنافـرة ونطفئ بها العـداوات المشتعلة ونجعلها تنقلب إلى محبة وصداقة.

* ولقد كان الحبيب المصطفى ﷺ يدارى فى كثير من الأحيان مَن كان هذا حاله.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبى ﷺ فقال: «ائذنوا له، فلبئس ابن العشيرة[1]، أو بئس رجل العشيرة» فلما دخل عليه، ألان له القول[2].

قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: «يا رسول الله! قلت له الذى قلت، ثم ألنت له القول؟».

قال: «يا عـائشة إن شـرَّ الناس منزلةً عند الله يوم الـقيـامـة مَنْ ودعـه - أو تركه - الناس اتقاء فحشه»[3].

* **قال ابن بطال - رحمه الله تعالى - المداراة:** خفض الجناح للناس، ولين الكلام وترك الإغلاظ لهم فى القول.

---

(١) المراد بالعشيرة: قبيلته، أى بئس هذا الرجل منها.

(٢) قال الخطابى - رحـمه الله - كما فى «فـتح البارى» (١٠/ ٤٥٤): «جمع هذا الحـديث علمًا وأدبًا، وليس فى قول النبى ﷺ فى أمته بالأمـور التى يسميهم بها، ويُضيفها إلـيهم من المكروه - غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم فى بعض، بل الواجب عليـه أن يبين ذلك، ويفصح به، ويُعَرِّف الناس أمره، فإن ذلك من باب النصيحة، والشفـقة على الأمة، ولكنه لما جُبل عليه من الكرم، وأُعطيه من حسن الخلق، أظهر له البـشاشة، ولم يجبه بالمكروه، لتـقتدى به أمته فى اتقاء شـرِّ من هذا سبيله، وفى مداراته، ليسلموا من شرِّه». اهـ.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٣٢) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٩١) كتاب البر والصلة.

وقال ابن حجر: المداراة: الدفع برفق[1].

دارِ من الناس ملالاتهم
مَن لم يُدارِ الناس ملُّوهُ
ومُكرم الناس حبيبٌ لهم
مَن أكرم الناس أحبوهُ

*** الفرق بين المداراة والمداهنة:**

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى-: «المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذمٍّ، والفرق بينهما أن المدارى يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه. فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق.

وقد ضُرب مثلٌ لذلك مطابق، وهو حال رجل به قرحة قد آلمته فجاءه الطبيب المداوى الرفيق، فتعرف حالها ثم أخذ فى تليينها، حتى إذا نضجت أخذ فى بطِّها برفق وسهولة، حتى إذا أخرج ما فيها وضع على مكانها من الدواء والمرهم ما يمنع فسادها، ثم تابع عليها بالمراهم التى تُنبت اللحم، ثم يذر عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها، ثم يشدُّ عليها الرباط، ثم لم يزل يتابع ذلك حتى صلحت، أما المداهن فقال لصاحبها: لا بأس عليك منها وهذه لا شيء فاسترها عن العيون بخرقة ثم الْهُ عنها، فلا تزال مدتها تقوى وتستحكم حتى عظم فسادها[2].

*** مداراة الأعداء واجبة للحذر من شرهم:**

قال الماوردى - رحمه الله تعالى -: إذا كان للإنسان عدوٌّ وقد استحكمت شحناؤه، واستوعرت سراؤه، واستخشنت ضراؤه، فهو يتربص بدوائر السوء

(١) الفتح (١٠/٥٢٨).

(٢) الروح/ للإمام ابن القيم (ص ٢٠٨).

انتهاز فرصةٍ ويتجرع بمهانة العجز مرارة غصة، فإذا ظفر بنائية ساعدها وإذا شاهد نعمةً عاندها فالبعد عن هذا حذراً أسلم، والكفُّ عنه متاركة أغنم؛ لأنه لا يُسلَم من عواقب شرِّه، ولا يُفلَت من غوائل مكره إلا بالبعد عنه أو مداراته... وقد قال لقمان لابنه: يا بنى! كذب من قال إن الشرَّ بالشرِّ يُطفأ، فإن كان صادقًا فليوقد نارين، ولينظر هل تطفئ إحداهما الأخرى، وإنما يُطفئ الخيرُ الشرَّ كما يطفئ الماء النار.

وأما إذا كان هذا العدوُّ لئيم الطبع خبيث الأصل فمثل هذا لا يستقبح الشر، ولا يكفُّ عن المكروه فهذا حاله أطمُّ وضرره أعمُّ ولا سلامة من مثله إلا بالبعد عنه والانقباض، ولا خلاص منه إلا بالصفح والإعراض؛ لأنه كالسبع الضارى فى سوارح الغنم وكالنار بطبع لا يزول، وجوهرٍ لا يتغير(١).

* **باقة من أقوال السلف فى المداراة:**

* **قال ابن بطال - رحمه الله تعالى -:** المداراة من أخلاق المؤمنين، وهى من أقوى أسباب الألفة بينهم. فإن قال بعضهم: إن المداراة هى المداهنة، وهذا غلط؛ لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق بينهما أن المداهنة من الدهان، وهو الذى يظهر الشىء، ويستر باطنه... وقد فسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة: هى الرفق بالجاهل فى التعليم وبالفاسق فى النهى عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألُّفه(٢).

* وقد قال منصور بن محمد الكريزى:

أُغمض عينى عن صديقى كأننى
لديه بما يأتى من القُبح جاهلُ

(١) أدب الدنيا والدين (٢٢٣، ٢٢٤) بتصرف يسير.
(٢) فتح البارى (١٠/ ٥٤٥).

وما بى جهل غير أن خليقتى
تُطيق احتمال الكره فيما أُحاولُ
متى ما يَرِبنى مِفصلٌ فقطعته
بقيت ومالى فى نهوضى مفاصلُ
ولكن أُداريه، وإن صحَّ شدَّنى
فإن هو أعيا كان فيه تَحامُلُ[(١)]

* قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى: «كانوا يقولون: المداراة نصف العقل، وأنا أقول هى العقل كله»[(٢)].

* قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى: من الابتلاء العظيم إقامة الرجل فى غير مقامه، مثل أن يحتاج الرجل الصالح إلى مداراة الظالم والتردد إليه، وإلى مخالطته من لا يصلح، وإلى أعمال لا تليق به، وإلى أمور تقطع عليه مراده الذى يؤثره، فقد يقال للعالم: تردد على الأمير وإلا خفنا عليك سطوته، فيتردد فيرى ما لا يصلح له ولا يمكنه أن ينكر أو يحتاج إلى شىء من الدنيا وقد مَنَع حقه، فيحتاج أن يُعرِّض بذكر ذلك أو يصرح لينال بعض حقه، ويحتاج إلى مداراة مَن تصعب مداراته، بل يتشتت همُّه لتلك الضرورات[(٣)].

*قال الشافعى - رحمه الله تعالى -:

لما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحتُ نفسى من هم العداوات
إنى أُحيِّى عدوى عند رؤيته
لأدفع الشرَّ عنى بالتحيات

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستى (٧٠ - ٧٣) بتصرف واختصار.
(٢) الآداب الشرعية (٣/٤٦٨).
(٣) صيد الخاطر (٢٩٠، ٢٩١).

وأُظهر البِشر للإنسان أُبغضه
كأنما قد حشا قلبى محبات
الناس داء وداء الناس قربهم
وفى اعتزالهم قطع المودات(١)

* قال ابن مُفلح رحمه الله تعالى: «أعطى الحسن بن على رضي الله عنهما شاعراً فقيل له: لِمَ تُعطى من يقول البهتان ويعصى الرحمن؟ فقال: إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به من عِرْضك، ومن ابتغى الخير اتقى الشرَّ»(٢).

* قال ابن حبان - رحمه الله تعالى -: «من التمس رضا جميع الناس التمس ما لا يُدرَك، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد ما معاشرته بُدًّا، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها واستقباح أشياء كان يستحسنها، ما لم يكن مأثمًا، فإن ذلك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يَسلم فكيف توجد السلامة لمن لا يُدارى»(٣).

* قال معاوية رضي الله عنه: «لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف؟ قال: لأنهم إن مدُّوها خليتها، وإن خلوا مددتها»(٤).

* قال محمد ابن الحنفية رحمه الله تعالى: «ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدًّا، حتى يجعل الله له فرجًا - أو قال مخرجًا - وأنشد المتنبى:

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى
عدوًّا له ما من صداقته بُدُّ(٥)

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢٢٣).
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١١).
(٣) روضة العقلاء (٧١، ٧٢) لابن حبان.
(٤) روضة العقلاء (٧٢).
(٥) الآداب الشرعية (٣/ ٤٦٩).

التواضع

إن التــواضع يفـتح لك القلـوب ويجـعلك قـريبًـا من الناس . . . بل ويجعلك تفوز برضوان العزيز الغفار وبالرفعة فى الدنيا والآخرة.

تواضع تكن كـالنجم لاح[1] لناظرٍ

على صَـفـحـات الماء، وهو رفـيعُ

ولا تكُ كـالدخـان يعلو بنفسـه

إلى طبـقـات الجـو، وهو وضـيعُ

قال رسول الله ﷺ : «ما زاد الله عبـدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[2].

* **قال النووى - رحـمه الله - فى شرحه لهـذا الحديث: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه»**: فيه وجهان:

أحدهما: يرفعه الله فـى الدنيا، ويُثبت له بتواضـعه فى القلوب منزلةً، ويرفعه الله عند الناس، ويُجلُّ مكانه.

والثانى: أن المراد ثوابه فى الآخرة، ورفعه بتواضعه فى الدنيا [3].

وقال ابن الحاج رحمه الله: من أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى، فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول، ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة، صعد إلى أعلاها، فـكأن سائلاً سألـه: ما صعـد بك هنا - أعنى فى رأس الشـجرة - وأنت تحت أصلها؟ فكأن لسان حاله يقول: من تواضع لله رفعه[4].

---

(١) لاح: بدا وظهر.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) «شرح النووى على صحيح مسلم» (٦/ ١٤٢).

(٤) «المدخل» لابن الحاج (٢/ ١٢٢).

* ومن المعلوم أننا أمة وسطية .. وأن خير الأمور أوسطها فلا إفراط ولا تفريط.

بمعنى أن نعلم أن التواضع له حدٌّ فإذا جاوزناه كان ذلاً ومهانة وإذا قصرنا عنه دخلنا فى دائرة الكبر.

* **قال ابن قدامة المقدسى - رحمه الله -:**

واعلم أن هذا الخُلُق كسائر الأخلاق، له طرفان ووسط: فطرفه الذى يميل إلى الزيادة يُسمى تكبُّرًا، وطرفه الذى يميل إلى النقصان يسمى تخسسًا ومذلة، والوسط يُسمى تواضعًا، وهو أن يتواضع من غير مذلة»[1].

* * *

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص ٢٥٤).

قبول الاعتذار

أيها الأخ الحبيب: إذا أساء إليك إنسان ثم جاء إليك ليعتذر لك عن إساءته فعليك أن تقبل اعتذاره ولا تعاتبه ولا تجادله فإنّ ترك المعاتبة من المروءة.

واعلم أنك إذا تخلَّقت بهذا الخُلُق العظيم، فلا بد أن تظفر بمحبة الناس من حولك.

* **قال العلامة ابن قيم الجوزية يرحمه الله:**

«من أساء إليك، ثم جاء يعتذر عن إساءته، فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرته - حقًّا كانت أو باطلاً - وتكِل سريرته إلى الله تعالى كما فعل رسول الله ﷺ في المنافقين الذين تخلفوا عنه في الغزو، فلما قدم جاءوا يعتذرون إليه، فقَبِل أعذارهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى[1].

وعلامة الكرم والتواضع أنك إذا رأيت الخلل في عذره، لا توقفه عليه، ولا تحاجه، وقل: يمكن أن يكون الأمر كما تقول، ولو قضى شيءٌ لكان، والمقدور لا مدفع له، ونحو ذلك»[2].

لذلك جاء في الحديث: «من أقال مسلمًا؛ أقال الله عثرته»[3].

* قال بشار بن بُرد:

إذا كنت في كل الأمور معاتبًا

صديقك، لم تلقَ الذي لا تعاتبه

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (٤٤١٨) كتاب المغازي.

(٢) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/ ٦٨٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٦٠) كتاب البيوع، وابن ماجه (٢١٩٩) كتاب التجارات، عن أبي هريرة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٦٠٧١).

وإن أنت لم تشرب مرارًا على القذى[١]

ظمئت، وأى الناس تصفو مشاربه؟

فَعِشْ واحدًا، أو صِلْ أخاك، فإنه

مقارف[٢] ذنب مرةً ومجانبه[٣]

ويتأكد قبول العذر فى حقِّ صاحب المنزلة والوجاهة الذى لا يُعرف بالشر، فلا نُغلظ عليه؛ لأن الرسول ﷺ أمرنا بإقالة عثرته بقوله: «**أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا الحدود**»[٤].

وما أحسن ما قاله الشافعى - رحمه الله -:

اقبل معاذير من يأتيك معتذرًا

إن بَرَّ[٥] عندك فيما قال أو فَجَرا [٦]

لقد أطاعك مَن يُرضيك ظاهره

وقد أجلَّك من يعصيك مستترا [٧]

* * *

(١) القذى: ما يقع فى العين والشراب من ترابٍ وغير ذلك.

(٢) مقارف الذنب: مرتكبه.

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٧٨).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٧٥) كتاب الحدود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٨٥).

(٥) بر: صدق.

(٦) فجر: كذب.

(٧) «ديوان الشافعى» (ص ٦٠)، تحقيق البقاعى.

تجنب الغضب

من المعلوم أن الناس جميعًا يحبون الإنسان الهادئ صاحب الخُلق الحسن الذى يملك نفسه عند الغضب .. وهم فى نفس الوقت يبغضون كل من لا يملك نفسه عند الغضب فيتطاول على الناس بالسبِّ والشتم واللعن والضرب.

فمن أراد أن يفوز بمحبة الخالق (جل وعلا) ومحبة الخلق فليملك نفسه عند الغضب.

*** أسباب الغضب:**

قال الغزالى - رحمه الله تعالى - مبينًا أسباب الغضب:

من أسباب الغضب: الزهو والعُجب والمزاح والهزل والهُزء والتعيير والمماراة، والمضادة (العناد) والغدر، وشدةُ الحرص على فضول المال والجاه ومن أشد البواعث عليه عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة، وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلاً حتى تميل النفس إليه وتستحسنه، وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر فى معرض المدح بالشجاعة والنفس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه[١].

*** الغضب المحمود:**

من الغضب ما يكون محمودًا وذلك إذا صدر الغضب من الله - عز وجل - وليس مثل غضبه شىءٌ، ومن ذلك غضبه تعالى على أعدائه من

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٧٣).

اليهود ومن كان على شاكلتهم من الكفار والمنافـقين والطغاة والمتجبرين كما يكون الغضب محمودًا إذا كان لله - عز وجل - عندما تُنتهك حرماته، وقد أثبت القرآن ذلك للرسل الكرام فى مواضع عديدة كما فى الحديث الشريف أن النبى ﷺ كان يغضب فى بعض الأحيان لله - عز وجل - لا لنفسه.

* **عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:** رخَّص رسول الله ﷺ فى أمر فتنزَّه عنه ناسٌ من الناس. فـبلغ ذلك النبى ﷺ، فـغضب حـتى بان الغـضب فى وجهه. ثم قال: «**ما بال أقوام يرغـبون عما رُخِّص لى فيـه. فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**»[1].

* **وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما أنه قال:** قال رسول الله ﷺ: «**علِّموا ويسروا ولا تُعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت**»[2].

* **وعن أبى مسعود رضي الله عنه قال:** قال رجل: يا رسول الله! إنى لأتأخر عن الصلاة فى الفجر مما يُطيل بنا فلان فيـها. فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب فى موضع كان أشد غضبًا منه يومئذٍ. ثم قال: «**يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن أمَّ الناس فليتجوز[3]، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة**»[4].

* **وعن عائشـة رضي الله عنها قالت:** قال رسول الله ﷺ: «**إنى لأعلم إذا كنتِ عنى راضيـة وإذا كُنت علىَّ غَضْبَى**». قالت: فـقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: «**أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقـولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم**». قالت: قلت: أجل: والله يا رسـول الله ما أهجر إلا اسمك[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٥٦) كتاب الفضائل واللفظ له.

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٣٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) فى رواية مسلم «فليوجز» والمراد تخفيفها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٤) كتاب الأذان، واللفظ له، ومسلم (٤٦٦) كتاب الصلاة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى(٥٢٢٨) كتاب النكاح، ومسلم (٢٤٣٩) كتاب فضائل الصحابة واللفظ له.

* **عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال:** كانت بين أبى بكر وعمر محاورة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه مغضبًا فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه فى وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: أبو الدرداء: ونحن عنده، فقال رسول الله ﷺ: «**أما صاحبكم فقد غامر**»(١).

وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلَّم وجلس إلى النبى ﷺ، وقصَّ على رسول الله ﷺ الخبر. قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله؛ لأنا كنت أَظْلَم، فقال رسول الله ﷺ: «**هل أنتم تاركو لى صاحبى، هل أنتم تاركو لى صاحبى؟ إنى قلت: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٢) فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت**»(٣).

* **وعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال:** كانت عند أم سليم يتيمة. فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة فقال: «**أنت هيه. لقد كبرت لا كبر سنُّك**». فرجعت اليتيمة إلى أُمِّ سليم تبكى. فقالت أم سُليم: ما لك يا بُنية؟

قالت الجارية: دعا علىَّ نبى الله ﷺ أن لا يكبر سنِّى فالآن لا يكبر سنى أبدًا.

فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها حتى لقيت رسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما لك يا أم سليم؟**».

فقالت: يا نبى الله أدعوت على يتيمتى؟

قال: «**وما ذاك يا أُم سليم؟**».

---

(١) غامر: سبق بالخير.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٦٤٠) كتاب تفسير القرآن والآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

قالت: زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنُّها ولا يكبر قرنها.

قال: فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «يا أم سليم! أما تعلمين أن شرطى على ربى، أنى اشترطت على ربى. فقلت: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر. فأيما أحد دعوتُ عليه من أُمتى دعوةً ليس لها بأهلٍ أن تجعلها له طهوراً وزكاةً وقُربةً يُقربهُ بها منه يوم القيامة»(١).

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه مُنذر جيش يقول: «صبَّحكم ومسَّاكم» ويقول: «بُعثت أنا والساعة كهاتين» ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى . . .» (٢).

*** علاج الغضب:**

يُعالَج الغضب إذا هاج بأمور منها:

١- أن يذكر الله - عز وجل - فيدعوه ذلك إلى الخوف منه ويبعثه الخوف منه على الطاعة له فعند ذلك يزول الغضب، . . . قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾(٣)، قال عكرمة، يعنى إذا غضبت.

٢- أن يتفكر فى الأخبار الواردة فى فضل كظم الغيظ والعفو والحِلم والاحتمال، فيرغب فى ثواب ذلك فتمنعه شدةُ الحرص على ثواب هذه الفضائل عن التشفى والانتقام وينطفئ عنه غيظه.

٣- أن يُخوِّف نفسه بعقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قدرة الله علىَّ أعظم من قدرتى على هذا الإنسان، فلو أمضيت فيه غضبى، لم آمن أن يُمضى الله عز وجل غضبه علىَّ يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو.

٤- أن يُحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو فى هدم

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٦٧) كتاب الجمعة.

(٣) سورة الكهف: الآية: (٢٤).

أغراضه والشماتة بمصائبه فإنَّ الإنسان لا يخلو من المصائب وهذا ما يعرف بتسليط شهوةٍ على غضب، ولا ثواب عليه إلا أن يكون خائفًا من أن يتغير عليه أمر يعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك.

٥- أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب وأنه يُشبه حينئذٍ الكلب الضاري والسبع العادي وأنه أبعدُ ما يكون مجانبةً لأخلاق الأنبياء والعلماء الفضلاء في أخلاقهم.

٦- أن يعلم أن غضبه إنما كان من شيءٍ جرى على وفق مُراد الله تعالى لا على وفق مراده هو فكيف يكون مراد نفسه أولى من مراد الله تعالى.

٧- أن يتذكر ما يئول إليه الغضب من الندم ومَذمة الانتقام.

٨- أن يتذكر أن القلوب تنحرف عنه وتحذر القرب منه فيبتعد الخلق عنه فيبقى وحيدًا فريدًا، فإن ذلك جدير بأن يصرف الغضب عنه.

٩- أن يتحول عن الحال التي كان عليها فإن كان قائمًا جلس وإن كان جالسًا اضطجع وعليه أن يتوضأ أو يستنشق بالماء.

١٠- أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

١١- أن يذكر ثواب العفو وحسن الصفح فيقهر نفسه على الغضب.

١٢- أن يذكر انعطاف القلوب عليه وميل النفوس إليه، فلا يرى إضاعة ذلك بتنفير الناس منه ويكفُّ عن متابعة الغضب[١].

* * *

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٥٠، ٢٥٢)، إحياء علوم الدين للغزالي (٣/١٧٣ - ١٧٥)، مختصر منهاج القاصدين (١٨٠، ١٨١).

الألفة

ما أجمل أن تجتمع القلوب على الحب فى الله (جل وعلا).

فالألفة هى الاجتماع على الحب فى الله وائتلاف القلوب على طاعة الله.. وهى نعمة جليلة من أعظم النعم التى أنعم الله بها على عباده.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (١).

كان العرب جميعًا قبل الإسلام فى عداوة وحروب، فالأوس والخزرج كانت بينهم حروب دامت مائة وعشرين سنة قبل الهجرة، كان منها يوم بُعاث، والعرب كانوا فى حروب وغارات، وجميع الأمم التى دعاها الإسلام كانوا فى تفرُّقٍ وتخاذلٍ، فصار الذين دخلوا فى الإسلام إخوانًا، أولياء بعضهم لبعضٍ، لا يصدهم عن ذلك اختلاف أنساب، ولا تباعد مواطن، ولقد حاول حكماؤهم، وأولو الرأى منهم التأليف بينهم، وإصلاح ذات بينهم، بأفانين الدعاية من خطابة، وجاهٍ وشعر، فلم يصلوا إلى ما ابتغوا حتى ألَّف الله بين قلوبهم بالإسلام فصاروا بذلك التأليف بمنزلة الإخوان.

وقد امتنَّ الله عليهم بتغيير أحوالهم من أشنع حالة إلى أحسنها (٢).

* وقد يستطيع المرء أن يجمع الناس بِعَرَضٍ من الدنيا، ولكنه لا يستطيع أن يؤلف بين قلوبهم إلا بتوفيق من الله، قال الله سبحانه وتعالى: **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾**(٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٣).

(٢) التحرير والتنوير (٤/ ٣٣، ٣٤).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٦٣).

* عن مجاهد ﷺ قال: إذا لقى الرجل أخاه فصافحه، تحاتت[١] الذنوب بينهما كما ينثر الريح الورق فقال رجل: إن هذا من العمل اليسير. فقال: ألم تسمع الله قال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[٢][٣].

* والألفة صفة من صفات أهل الإيمان، . . . فعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**المؤمنون هينون لينون، كالجمل الأنف إن قيد انقاد، وإذا أنيخ على صخرة استناخ**»[٤].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار؟ أو بمَنْ تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل**»[٥].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كان سهلاً هينًا لينًا، حرَّمه الله على النار**»[٦].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس**»[٧].

كأنك فى الكتاب وجدت لاءً
مُحرَّمةً عليك، فلا تحلُّ

---

(١) تحاتت: أى تساقطت.

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٦٣).

(٣) الدر المنثور (٤/ ١٠٠).

(٤) حسن: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٢٧٢ ، رقم ٨١٢٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٦٩).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٨٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٣٩٢٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٣٨).

(٦) صحيح: الحاكم (١/ ٢١٥ ، رقم ٤٣٥)، والبيهقى (١٠/ ١٩٤ ، رقم ٢٠٥٩٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٨٤).

(٧) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٥٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٢٦).

إذا حضر الشتاء فأنت شمسٌ

وإن حلَّ المصيف فأنت ظلٌّ

* عن مجاهد قال: رأى ابن عباس ﷺ رجُلاً فقال: «إن هذا ليُحبُّنى، قالوا: وما علمُك؟ قال: إنى لأحبُّهُ، والأرواح جُنودٌ مُجندَةٌ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

* قال أبو حاتم ﷺ: سبب ائتلاف الناس وافتراقهم - بعد القضاء السابق - هو تعارف الروحين. وتناكر الروحين، فإذا تعارف الروحان وجدت الأُلفة بين نفسيهما، وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسميهما.

* قال مالك ﷺ: «الناس أشكال كأجناس الطير، الحمام مع الحمام، والغُراب مع الغُراب، والبط مع البط، والصعو مع الصعو، وكلُّ إنسانٍ مع شكله»[1].

* وقال محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى:

تعارف أرواح الرجال إذا التقوا

فمنهم عدوٌّ يُتقى وخليلُ

كذاك أمور الناس والناسُ منهم

خفيف إذا صاحبته وثقيلُ

* وقال أحمد بن عبد الأعلى الشيبانى:

فيا عجبًا ممن يمُدُّ يمينهُ

إلى إلفه عند الفراق فيُسرعُ

ضعفت عن التوديع لما رأيتُهُ

فصافحته بالقلب، والعين تدمعُ[2]

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستى (١٥٤).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٥٧).

*قال أحدُ الشعراء (أحمد بن محمد بن أبى بكر الأنبارى):

إن القلوب لأجنادٌ مجندةٌ
لله فى الأرض بالأهواء تعترفُ

فما تعارف منها فهو مؤتلف
وما تناكر منها فهو مختلفُ(١)

* * *

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٥٤).

العفة

إن أكثر الناس - إلا من رحم الله - جُبلوا على حب المال ومن ثَم فإنهم يحبون كل من يزهد عما فى أيديهم ويبغضون كل من يطمع فيما فى أيديهم.

*ولقد وضَّح النبى ﷺ ذلك من خلال تلك النصيحة الغالية التى أسداها لهذا الصحابى الجليل.

فعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: **«يا رسول الله: دلنى على عمل، إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس».**

فقال: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» (١).

*** وقال ﷺ فى وصية أخرى غالية: «وأجمع اليأس عما فى أيدى الناس»** (٢).

وفى وصية جبريل لرسول الله ﷺ: «واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعِزّه استغناؤه عن الناس» (٣).

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى «صحيح الجامع» (٩٢٢).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٧١) كتاب الزهد، وأحمد (٥/ ٤١٢) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى «صحيح الجامع» (٧٤٢).

(٣) حسن: رواه الحاكم (٤/ ٣٦٠ ، رقم ٧٩٢١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣).

* وكان النبى ﷺ حريصًا كل الحرص على أن يربى أصحابه وأمته من بعدهم على خُلق العفة حتى إن أحدهم كان يسقط سوطه بعد ذلك فما يسأل أحدًا أن يناوله إياه.

ففى حديث **عوف بن مالك** رضي الله عنه **قال:** كنَّا عند رسول الله ﷺ تسعةً، أو ثمانيةً، أو سبعة، فقال: **«ألا تُبايعون رسولَ الله؟!»**.

وكنا حديثى عهدٍ ببيعة، قلنا: قد بايعناك يا رسول الله.

ثم قال: «ألا تُبايعون رسول الله؟!».

فبسطنا أيدينا، وقلنا: «قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟».

قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا - وأسر كلمة خفية - **ولا تسألوا الناس شيئًا»**.

يقول راوى الحديث: «فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحدًا يناوله إياه»[1].

* **وعن أنس** رضي الله عنه **أنه قال:** قَدِم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع- وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالاً سأقسم مالى بينى وبينك شطرين - نصفين - ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلَّت تزوجتها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك.

فلم يرجع يومئذٍ حتى أفضل شيئًا من سمن وأقط[2]، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء رسولُ الله ﷺ وعليه وضرٌ من صفرة فقال له رسول الله ﷺ: **«مَهيم؟»** قال: تزوجت امرأة من الأنصار، قال: **«ما سُقت فيها؟»** قال: وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال: **«أولِم ولو بشاة»**[3].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٠٤٣) كتاب الزكاة.

(٢) **الأقط:** قطع الجبن.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٣٧٨١) كتاب المناقب.

وإن إعجاب المرء بسماحة (سعد) لا يعدله إلا إعجابه بُنبل (عبد الرحمن) الذى زاحم اليهود فى سوقهم وبَزَّهم فى ميدانهم، واستطاع بعد أيام أن يكسب ما يعف به نفسه ويحصن به فرجه . . ذلك أن علو الهمة من خلائق الإيمان(١).

نعم فإن الإسلام دين يحث على العمل ولا يرضى بالتواكل ولا يرضى بأن يخدش المسلم حياءه أو يُذهب ماء وجهه من أجل أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه.

* **قال الحسن البصرى**: والله لقد رأيتُ أقوامًا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيتُ أقوامًا يُمسى أحدُهم ولا يجدُ عنده إلا قوتًا، فيقول: لا أجعل هذا كله فى بطنى، فيتصدق ببعضه، ولعله أحوج إليه ممن يتصدق عليه.

فانظر عندما تعفف عبد الرحمن بن عوف ورفض العطاء الذى عرضه عليه سعد بن الربيع عوّضه الله خيرًا كثيرًا وتزوج فى وقت قياسى **«ومن يستعفف يعفه الله»**(٢). فلقد كان زواج المسلمين ميسورًا بأمر الله.

قال الشافعى رحمه الله:

أَمَتُّ مطامعى، فأرحت نفسى
فإن النفس ما طمعت تَهونُ
وأحييت القنوع، وكان ميتًا
ففى إحيائه عِرضٌ مصونُ
إذا طَمعٌ يحلُّ بقلب عبد
علته مهانة، وعلاه هونُ(٣)(٤)

---

(١) فقه السيرة للشيخ الغزالى (ص: ١٩٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٤٢٨) كتاب الزكاة.

(٣) هون: مهانة وخزى، وذل.

(٤) «ديوان الشافعى» (ص ١١٥)، تحقيق البقاعى.

العدل

لا شك أن الإنسـان الذى يعدل بين الناس من حـوله تحبـه القلوب وأن الذى يظلم ولا يعدل تبغضه قلوب الناس من حوله.

* والإسلام يربى المسلم على العدل مع القـريب والبعيد بل ومع المسلم والكافر ومع الصديق والعدو.

قال تعـالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ (١) شَنَآنُ (٢) قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٣).

الإيمان بعدل الله يزيل الهموم

*** عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حـزن، فقال: اللهم إنى عبـدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصـيتى بيدك، ماضٍ فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمتـه أحدًا من خلقك، أو أنزلته فى كتـابك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك. أن تجـعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجـلاء حزنى، وذهاب همى، إلا أذهب الله همَّـه وحزنه وأبدله مكانه فـرحًا». قال: فقـيل: يا رسول الله، ألا نتعلمه؟. فقال: «بلى، ينبغى لمن سمعه أن يتعلمه»(٤).**

* * *

---

(١) يجرمنكم: يحملنكم.

(٢) شنآن: شدة البغض والكراهية.

(٣) سورة المائدة: الآية: (٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٣٧٠٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٩٩).

بالعدل قامت السموات والأرض

قال الفيروزآبادي - رحمه الله تعالى -: العدل هو القسط على سواء، وعلى هذا رُوى: بالعدل قامت السموات والأرض، تنبيهًا على أنه لو كان ركن من الأركان الأربعة فى العالم زائدًا على الآخر أو ناقصًا عنه على مقتضى الحكمة لم يكن العالم منتظمًا.

* وهنا تحضرنى قصة عجيبة لهذا الصحابى الجليل عبد الله بن رواحة: عن سليمان بن يسار أن النبى ﷺ كان يبعث ابن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود، فجمعوا حُليًّا من نسائهم، فقالوا: هذا لك وَخفِّف عنا.

قال: يا معشر يهود! والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلىَّ، وما ذاك بحاملى على أن أحيف عليكم[1]، والرشوة سُحت.

فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض[2].

النبى ﷺ يدعو الكون كله للعدل

لقد كان النبى ﷺ يدعو الكون كله للتحلى بخلق العدل لتسود المحبة بين الناس أجمعين.

فها هو ﷺ يقول: **«إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله - عز وجل - محسنٌ يحب المحسنين»**[3].

ويخبر النبى ﷺ أن العدل صدقة تُكتب فى ميزان العبد.

---

(١) أجُور عليكم أو أظلمكم.

(٢) السير للإمام الذهبى (١/ ٢٣٧).

(٣) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٤٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٤).

قال ﷺ: «كل سُلامَى من الناس عليه صدقـة، كل يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين الناس صدقة..»[١].

بل وأخبر النبى ﷺ أن العدل من أعظم أسباب النجاة فقال ﷺ: «ثلاثٌ كفارات، وثلاثٌ درجات، وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ مهلكات... وأما المنجيات: فالعدل فى الغضب والرضا...»[٢].

* وأخبر النبى ﷺ أن أهل العدل يكونون يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن... فقال ﷺ ـ كما فى الصحيحين ـ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...»[٣].

* بل وأخبر أن أهل العدل يكونون يوم القيامة على منابر من نور فقال ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما وَلُوا»[٤].

* بل وأخبر أنهم من أهل الجنة فقال ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»[٥].

ولقد أمر رسول الله ﷺ بالعدل مع عامة الناس وخاصتهم حتى الوالد فى ولده فقال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم فى العطاء»[٦].

وأمر الزوج بالعدل بين الزوجات، بل أمر الإنسان نفسه أن يعدل بين

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٠٧) كتاب الصلح، ومسلم (١٠٠٩) كتاب الزكاة.

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمارة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٢٥٨٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

نفسه فإذا انقطعت شراك إحدى نعليه فعليه خلع الأخرى، وقال: «**لينعلهما معًا أو ليحفهما معًا**»[١].

*** وقفة لطيفة:**

وينبغى لمن يريد أن يعدل بين الناس أن يكون على قدر كبير من الرفق واللين والكرم والشجاعة .. فيستعمل إلى جانب الرفق واللين الحزم والصراحة.

فيجعل الرفق واللين لمن كان سهلاً ويجعل العصا لمن عصى.

* وكذلك ينبغى لمن يريد أن يعدل بين الناس أن يقضى بالحق ولا يتردد فى تطبيقه متى اتضح له الحق .. وذلك لأن التردد قد يُضيع الحق.

ولقد أجاد من قال - وأحسن -:

إذا كنت ذا رأى، فكن ذا عزيمة
ولا تكُ بالترداد للرأى مُفسدا

فإنى رأيت الريب فى العزم هجنةً
وإنفاذَ ذى الرأى العزيمة أرشدا[٢]

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨٥٥) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٩٧) كتاب اللباس والزينة.

(٢) أدب الدنيا والدين (ص ٣٠٥).

*** من ثمرات العدل:**

إن ثمرات العدل والمساواة كثيرة ولكن حسبنا أن نقف على بعضها:

١- تحقيق الاستقرار والأمان فى المجتمع المسلم؛ لأن كل فرد سيشعر بأن حقه لن يأخذه غيره وبذلك يحصل الأمان والاستقرار.

٢- أن الإنسان العادل يعيش فى أمان فى الدنيا والآخرة.

٣-الفوز برضوان الله (جل وعلا) .. فالله يرضى عن كل من يعدل بين الناس.

٤-أن الإنسان العادل يدوم مُلكه.

٥- أن إحساس الناس بنعمة العدل يجعل انتماءهم وحبهم لبلدهم يزداد يومًا بعد يوم.

٦- أن العدل طريق موصل إلى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* * *

تجنب الجدال

إذا أردت أن تكسب قلوب الناس من حولك فعليك أن تتجنب الجدال والمراء فإنهما من الآفات التى تملأ صدور الناس بالحقد والضغينة.

* حكم الجدال:

الجدال قد يكون محمودًا إذا تعلق بإظهار الحق وقد أُمر بذلك النبى ﷺ فى قوله سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١).

وقد يكون مذمومًا إذا شغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، وهذا هو المقصود بقوله ﷺ: «ما أُوتى الجدل قومٌ إلا ضلُّوا»(٢).

وقد عدَّ الذهبى هذا النوع من الكبائر، وقال: إن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودًا، وإن كان الجدال فى مدافعة الحق، أو كان بغير علم كان مذمومًا، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة فى إباحته وذَمِّه(٣).

* الجدال سبب فى رفع الخير:

عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضَلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٤)(٥).

---

(١) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

(٢) انظر المصباح المنير (١/ ٩٣).

(٣) كتاب الكبائر (٢٢١).

(٤) سورة الزخرف: الآية: (٥٨).

(٥) حسن: رواه الترمذى (٣٢٥٣) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٨) فى مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٣٣).

* **وعن عبادة بن الصامت** رضي الله عنه **قال**: خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى[1] رجلان من المسلمين فقال: «**خرجت لأُخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فَرُفعت، وعسى أن يكون خيرًا، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة**»[2].

* **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال**: لما حضر رسول الله ﷺ وفى البيت رجالٌ، فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبى ﷺ: «**هَلُمَّ أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا**».

فقال عمر: «إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله».

فاختلف أهل البيت فاختصموا، فمنهم من يقول: قَرِّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابًا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**قوموا**».

قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم»[3].

* **قال سليمان بن داود - عليهما السلام - لابنه**: دع المراء، فإنَّ نفعه قليل، وهو يهيج العداوة بين الإخوان[4].

* **قال ميمون بن مهران - رحمه الله - يُوصى بعض تلامذته**: «إياك

---

(١) فتلاحى: فتخاصم وتنازع وتشاتم.

(٢) البخارى - الفتح ٤ (٢٠٢٣).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٧٣٦٦) كتاب الاعتصام.

(٤) الدارمى (١/١٠٢).

والخصومة والجدال فى الدين، ولا تُجادلن عالمًا ولا جاهلاً. أما العالم فإنه يَخْزِنُ عنك علمه، ولا يُبالى ما صنعت؛ وأما الجاهل فإنه يُخشِّنُ بصدرك، ولا يُطيعك»[١].

* **قال الأوزاعى - رحمه الله -:** إذا أراد الله بقومٍ شرًّا ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل[٢].

* قال مسعر بن كدام - رحمه الله تعالى - يوصى ابنه كدامًا:

إنى منحتك يا كدامُ نصيحتى
فاسمع لقولِ أبٍ عليك شفيقِ
أما المزاحة والمراءُ فدعهما
خُلقان لا أرضاهما لصديقِ
إنى بلوتهما فلم أحمدهما
لمجاورٍ جارًا ولا لرفيقِ
والجهل يُزرى بالفتى فى قومه
وعروقه فى الناس أى عُروقِ؟[٣]

وكما يكون الجدال سببًا لرفع الخير، فهو - أيضًا - سبب لإيجاد الضغائن، . . . قال ابن عباس لمعاوية ﷺ: «هل لك فى المناظرة فيما زعمت أنك خاصمت فيه أصحابى؟».

قال: «وما تصنع بذلك؟!، أَشْغَبُ بك، وتشغب بى، فيبقى فى قلبك ما لا ينفعك، ويبقى فى قلبى ما يضرُّك»[٤].

(١) الدارمى (١/ ١٠٢).
(٢) شرح أصول الاعتقاد (مج ط١/ ١٤٥).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٩).
(٤) «بهجة المجالس» (٢/ ٤٢٩، ٤٣٠).

وقال مالك بن أنس - رحمه الله -: «الجدال في الدين يُنشئ المراء، ويُذهب بنور العلم، ويقسي القلب، ويورث الضغائن»[(١)].

* ولقد ضمن النبي ﷺ بيتًا في الجنة لمن ترك الجدال والمراء.

قال ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًّا.....»[(٢)].

* * *

---

(١) «ترتيب المدارك» (١/ ١٧٠).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٤).

لزوم السكينة والوقار

لا يشك عاقل فى أن العبد الذى يلزم السكينة والوقار يكسب حب الناس وتقديرهم.

* ولذا كان النبى ﷺ يحض الأمة على التحلى بخلق السكينة والوقار فى كل الأمور حتى وهم فى طريقهم إلى الصلاة.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار[1]**، ولا تُسرعوا، فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فأتمُّوا»**[2].

* بل وأخبر النبى ﷺ أنه ما من نبى بعثه الله إلا رعى الغنم وذلك لأنه يكتسب من خلال هذه المهنة الشفقة والرحمة والسكينة والوقار.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الفخر والخيلاءُ فى أصحاب الإبل، والسكينة والوقار فى أهل الغنم»**[3].

* واعلم أنه مما يُعين على اكتساب خُلق السكينة والوقار بعد تقوى الله.

١- العلم والعمل:

قال ابن مسعود: «ينبغى لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حكيمًا سكينًا، ولا ينبغى لحامل القرآن أن يكون جافيًا، ولا غافلاً، ولا صخَّابًا، ولا صيَّاحًا، ولا حديدًا»[4].

---

(١) قال النووى - رحمه الله - كما فى «فتح البارى» (٢/١٣٩): «الفرق بين السكينة والوقار أن السكينة هى التأنى فى الحركات واجتناب العبث، والوقار فى الهيئة كغض البصر، وخفض الصوت وعدم الالتفات». اهـ.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٦) كتاب الأذان، ومسلم (٦٠٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٩٩) كتاب المناقب، ومسلم (٥٢) كتاب الإيمان.

(٤) «الفوائد» (١٤٧).

وقال ابن أنس - رحمه الله -: «حقٌّ على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، والعلم حسنٌ لمن رُزق خيره»[١].

٢- لزوم الصمت:

قال بعض البلغاء: «الزم الصمت؛ فإنه يُكسبك صفو المحبة، ويؤُمنك سوء المغبة[٢]، ويُلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤونة الاعتذار»[٣].

إن كان يُعجبك السكوت، فإنه
قد كان يعجب قبلك الأخيارا
ولئن ندمتَ على سكوتك مرة
فلقد ندمتَ على الكلام مرارا
إن السكوتَ سلامةٌ ولربما
زرع الكلامُ عداوةً وضرارا[٤]

* * *

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٠).
(٢) المغبة: العاقبة.
(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٧٥).
(٤) «روضة العقلاء» (ص: ٤٣).

المزاح المعتدل

إن المزاح من الأشياء التى يحبها كثير من الناس بل هو من أعظم وسائل الدخول إلى قلوب الناس. . . والإنسان يحتاج أحيانًا إلى المزاح المعتدل بلا إسراف ولا تقتير.

*ولقد نهج الإسلام المنهج الواقعى فى تقعيد الأصول والمبادئ التى يقيم عليها شريعته ونظرته للأمور. فكان تجاوبه مع طبيعة الإنسان أحد الركائز التى بُنيت عليها أحكامه وتشريعاته، فاعتبر فى الإنسان جانبه الروحى والجسدى، وجانبه المعنوى والمادى.

فالإنسان فى تصوير الإسلام هو ذلك الكائن المزدوج الطبيعة، المكون من قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، ممتزجتين مترابطتين غير منفصلتين، فلا هو قبضة من طين الأرض خالصة، فيهبط إلى مستوى الجماد أو الحيوان، ولا نفخة روح خالصة فيؤله أو يتأله، إنما هو مزاج من الطين، ونفخة من روح الله يُكوِّنان هذا الكيان.

ولما كانت الفكاهة تكاد تكون ضرورة نفسية وعقلية يميل الإنسان بطبعه إليها؛ حيث لا يحتمل الجَد المتواصل؛ لأن ذلك يحمل العقل على الجمود والجفاف، أقر بها الإسلام واعترف بحاجة إشباعها على غرار الحاجيات النفسية الأخرى.

وقد أبرز ابن الجوزى فى مقدمة كتابه «أخبار الحمقى والمغفلين» ثلاثة دوافع أساسية لتأليف مؤلفه: (ثالثها: أن يُرَوِّح الإنسان قلبه بالنظر فى سير هؤلاء المبخوسين حظوظًا يوم القسمة؛ فإن النفس قد تملُّ من الدؤوب فى

الجد، وترتاح إلى بعض المباح من اللهو. .»[١][٢] .

صورة من مزاح النبى ﷺ

* ولكى تكتمل الأسوة والقدوة فى النبى محـمد ﷺ فلقد استوعبت أحواله كل أحوال البشر.

فلقد كانـت سيرة المصطفى ﷺ أنموذجًا مـتكاملاً للشخصيـة المسلمة المثالية من جميع الجوانب والمكونات.

(فهو فى خلوته يصلى ويطيل الخشوع والبكاء؛ حتى تتورم قدماه، وهو فى الحق لا يبالى بأحد فى جنب الله، ولكنه مع الحـياة والناس بَشَرٌ سَوِى، يحب الطيبات، ويبش ويبتسم، ويداعب، ويمزح، ولا يقول إلا حقًّا ﷺ)[٣] .

* هكذا كان النبى ﷺ أكثر الناس تبسـمًا وضَحكًا فى وجوه أصحابه وتَعَجُّبًا مما تحدثوا به وخلطًا لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نَواجذه[٤] .

بل وفى الصـحـيـحين من حـديث جـرير من حـديث عليّ: يضحك مما تضحكون منه، ويتعجب مما تعجبون منه، . . . ومسلم من حديث جابر بن سَمُرة: كانوا يتحدثون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم[٥] .

وتأمل معى ما قاله هذا الصحابى الجليل:

ففى الصـحيحين عن جـرير بن عبد الله البـجليّ رضي الله عنه أنه قال: ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى إلا تبـسَّم فى وجهى ولقد شكوت إليه أنى لا أثبُـتُ على الخيل، فضـرب بيده فى صـدرى وقال: «**اللهم ثَبِّـته واجعلهُ هاديًا مهديًا**»[٦] .

---

(١) أخبار الحمقى والمغفلين (ص: ١٦).

(٢) قضايا اللهو والترفيه (ص: ١٩٣، ١٩٤).

(٣) الحلال والحرام. د / يوسف القرضاوى (ص: ٢٧٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى فى الشمائل، وصححه الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (ح ١٩٤).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٦٧٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٣٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

* **رُوى أن امرأة عجوزاً جاءته تقول:** يا رسول الله: ادع الله لى أن يُدخلنى الجنة، فقال لها: «**يا أم فلان! إن الجنة لا يدخلها عجوز**»[(١)].

وانزعجت المرأة وبكت، ظَنًّا منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك منها بيَّن لها غرضه: أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزًا، بل يُنشئها الله خلقًا آخر، فتدخلها شابة بكرًا، . . . وتلا عليها قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا**﴾[(٢)].

* وعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ - أى طلب منه دابة يحمله عليها- فقال: «**أنا حاملك على ولد ناقة**» فقال: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلا النُّوق؟**»[(٣)].

* **وعن أبى هريرة قال:** قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا، قال: «**إنى لا أقول إلا حقًّا**»[(٤)].

* وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان فى بيت عائشة، فبعث إليه بعض نسائه بقصعة، فدفعتها عائشة فألقتها وكسرتها، فجعل النبى ﷺ يضم الطعام ويقول: «**غارت أمُّكم**». فلما جاءت قصعة عائشة بعث بها إلى صاحبة القصعة التى كسرتها وأعطى عائشة القصعة المكسورة[(٥)].

* **وعن أنس بن مالك قال:** كان ابن لأم سليم يقال له: أبو عمير، كان

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى فى الشمائل (ص: ١٩٧)، والبيهقى فى البعث (٣٨٢)، والبغوى فى الأنوار (١/ ٢٥٨/ ٢٢٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧).

(٢) سورة الواقعة: الآيات: (٣٥-٣٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩٨) كتاب الأدب، والترمذى (١٩٩١) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٣٤٠٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى التعليق على المشكاة (٤٨٨٦)، ومختصر الشمائل (٢٠٣).

(٤) حسن: رواه الترمذى (١٩٩٠) كتاب البر والصلة، وأحمد (٨٥٠٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٦).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

النبى ﷺ ربما مازحه إذا جاء، فدخل يومًا يمازحه، فوجده حزينًا، فقال: «**ما لى أرى أبا عمير حزينًا؟**» فقالوا: يا رسول الله، مات نغره الذى كان يلعب به، فجعل يناديه ﷺ : «**يا أبا عمير! ما فعل النغير؟**»[(١)].

* **وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه**: زاهر بن حرام، قال: وكان النبى ﷺ يحبه وكان دميمًا، فأتاه النبى ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر، فقال: أرسلنى، من هذا؟ فالتفت فعرف النبى ﷺ ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه، وجعل النبى ﷺ يقول: «**من يشترى العبد؟**»، فقال: يا رسول الله إذًا والله تجدنى كاسدًا[(٢)]، فقال النبى ﷺ : «**ولكن عند الله لست بكاسد- أو قال: لكن عند الله غال**»[(٣)].

موقف طريف

وها هو موقف من أطرف المواقف التى دارت بين النبى ﷺ وبين أحد الصحابة رضي الله عنهم .

- **ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال**: أتى رجلٌ النبى ﷺ فقال: هلكت، وقعت على أهلى فى رمضان، .قال: «**أعْتقْ رقبة**». قال: ليس لى. قال: «**فصم شهرين متتابعين**». قال: لا أستطيع. قال: «**فأطعم ستين مسكينًا**». قال: لا أجد. فأُتى بعرق[(٤)] فيه تمرٌ، فقال: «**أين السائل؟ تصدق**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٠٣) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الأدب.

(٢) كاسدًا: من الكساد وهو العطل والبوار.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٢٢٣٧)، والتِّرْمِذِى فى الشَّمائل (٢٣٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (٢٠٤).

(٤) عرق: هو المكتل ويقال إنه يسع خمسة عشر صاعًا، والصاع خمسة أرطال وثلث كما هو رأى الشافعى أو ثمانية كما هو قول أبى حنيفة.

بها». قال: على أفقر منى؟ والله ما بين لابتيها [١] أهلُ بيتٍ أفقر منا. فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه، قال: «**فأنتم إذًا**» [٢].

وموقف آخر

وها هو موقف آخر يوضح لنا كيف كان النبى ﷺ سهلاً لينًا، لا تفارقه البسمة لكنه كان يضعها فى موضعها.

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عاليةً أصواتُهن على صوت النبى ﷺ، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبى ﷺ، فدخل والنبى ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سنُّك يا رسول الله، بأبى أنت وأمى. فقال ﷺ: «**عجبتُ من هؤلاء اللاتى كُن عندى، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب** [٣]».

فقال: أنت أحقُّ أن يهبن يا رسول الله. ثم أقبل عليهن فقال: يا عَدوَّات أنفسهن، أتهبننى ولم تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: إنك أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «**إيه يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا** [٤] **إلا سلك فجًا غير فجك**» [٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو

(١) لابتيها: اللابة: الأرض ذات الحجارة السود.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨٧) كتاب الأدب، ومسلم (١١١١) كتاب الصيام.
(٣) تبادرن الحجاب: أى: اختبأن وراء الستارة.
(٤) فجًا: الفج: هو الطريق الواسع.
(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

خيبر، وفى سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية السِّتر من بنات لعائشة لُعَب، فقال: **«ما هذا يا عائشة؟»**، قالت: بناتى. ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع، فقال: **«ما هذا الذى أرى وسطهن؟»**. قالت: فرس. قال: **«وما هذا الذى عليه؟»**، قالت: جناحان. قال: **«فرس له جناحان؟!»**، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه[1].

هذه بتلك

بل وصل الأمر إلى درجة رفيعة من الحِلم والتواضع حتى إن النبى ﷺ كان يسابق أمَّنا عائشة رضي الله عنها لتعلم يقينًا أن النبى ﷺ لن يحرمها من اللطف والعطف والرعاية فهى صفات راسخة فى قلب الحبيب ﷺ الذى ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وكنت جارية، لم أحمل اللحم ولم أبدن.

فقال رسول الله ﷺ للناس: «تقدموا، تقدموا» فتقدموا، ثم قال: **«يا عائشة تعالى حتى أسابقك»** فسابقته فسبقته، فسكت، حتى إذا حملت اللحم ونسيت خرجت معه فى بعض أسفاره، فقال للناس: **«تقدموا»**، فتقدموا، ثم قال لى: **«تعالى أسابقك»**، فسابقته فسبقنى، فجعل يضحك ويقول: **«هذه بتلك»**[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت النبى ﷺ بخزيرة قد طبختها له،

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٣٢) كتاب الأدب، والنَّسائى فى الكبرى تحفة الأشراف (١٢/ ١٧٧٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله على المشكاة (٣٢٦٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٥٧٤٥)، صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣١).

فقلت لسودة - والنبى ﷺ بينى وبينها :- كُلى، فأبت، فقلت: لتأكلن، أو لأُلطخَنَّ وجهك، فأبت فوضعتُ يدى فى الخزيرة فطليت وجهها، فضحك النبى ﷺ فوضع بيده لها وقال لها: «**الطخى وجهها**»، فضحك النبى ﷺ فمرَّ عمر فقال: يا عبد الله يا عبد الله! فظن أنه سيدخلُ فقال: «**قوما فاغسلا وجوهكما**». فقالت عائشة: فمازلت أهاب عُمر لهيبة رسول الله ﷺ (١).

اللهم حوالينا ولا علينا

وها هو موقف آخر طريف يحدث للنبى ﷺ فقد جاءه أعرابى وهو ﷺ يخطب الجمعة فطلب من النبى ﷺ أن يستسقى لهم فقد أجذبت الأرض فدعا النبى ﷺ فنزل المطر أسبوعًا كاملاً لا ينقطع... وإذا بنفس الرجل يأتى إلى النبى ﷺ فى الجمعة التى تليها يطلب منه أن يسأل الله -جل وعلا- أن يحبس عنهم المطر فقد غرقوا... فضحك النبى ﷺ.

ففى الصحيحين: عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب بالمدينة فقال: قحط المطر، فاستسق ربك، فنظر إلى السماء وما نرى من سحاب، فاستسقى، فنشأ السحاب بعضه إلى بعض، ثم مُطروا حتى سالت مَثَاعب(٢) المدينة، فمازالت إلى الجمعة المقبلة ما تُقلع ثم قام ذلك الرجل، أو غيره - والنبى ﷺ يخطب، فقال: غرقنا، فادع

---

(١) صحيح: أخرجه أبو يعلى (٤٤٧٦)، وابن عساكر (٤٤/ ٩٠)، وقال الهيثمى (٣١٦/٤): رواه أبويعلى، ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣١٣١).

(٢) المثاعب: جمع مَثْعَب - بفتح أوله وثالثه- وهو مسيل الماء.

ربك يحبسها عنا، فضحك، ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**»- مرتين أو ثلاثًا، فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يمينًا وشمالاً يُمطر ما حوالينا، ولا يُمطر فيها شيء، يُريهم الله كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته (١).

* **وينقسم المزاح إلى قسمين:**

١- محمود: وضابطه كما قال ابن حبان: «هو الذى لا يشوبه ما كره الله عز وجل، ولا يكون بإثمٍ، ولا قطيعة رحمٍ».

٢- مذموم: وضابطه كما قال ابن حبَّان - أيضًا -:

«الذى يُثير العداوة، ويُذهب البهاء، ويقطع الصداقة، ويُجرئُ الدَّنِىء عليه، ويُحقد الشريف به» (٢).

آداب المزاح

١- ألا يكون المزاح فيه تجريح لأحدٍ من الناس.

٢- أن يكون المزاح لا كذب فيه.

فقد كان النبى ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا .. بل قال النبى ﷺ: «**أنا زعيم ببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ..**» (٣).

وحذر النبى ﷺ من أن يكذب الرجل ليُضحك مَن حوله فقال ﷺ: «**ويلٌ للذى يُحدث فيكذب، ليُضحك به القوم ويلٌ له، ويلٌ له**» (٤).

٣- أن يكون المزاح لقصد التسلية أو الترفيه عن النفس، وإيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٩٣٣) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٩٥) كتاب صلاة الاستسقاء.

(٢) «روضة العقلاء» (ص: ٧٧).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٥١٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٣٦).

كان ابن سيرين الإمام العلم المحـدث، إذا اشتدَّ الضحى ينزل إلى سوق البـصرة، فيسلم على النـاس ويمازحهم ويوزع البسـمات على المسلمين، ولذلك أحـبوه، وحشروا فـي درسه، وتعلقت به القلوب، فإن القلوب لا تحب الفـظّ الغليظ ولو كان تقـيًّا، بل تحب الدعوب القريب من الناس.

❋ ❋ ❋

التفسح فى المجالس

وإن مما يغرس الألفة والمودة فى قلوب المسلمين أن يُفسح المسلم لأخيه فى المجالس.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1].

قال الشيخ ابن سعدىٍّ - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية: «هذا أدبٌ من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا فى مجلسٍ من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضُهُم - أو بعض القادمين عليهم - للتَّفسُّح له فى المجلس، فإنَّ من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود، وليس ذلك بضارٍّ للفاسح شيئًا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضررٍ يلحقه، والجزاء من جنس العمل، فإن من فَسَح؛ فَسَح الله له، ومن وسَّع لأخيه؛ وسع الله عليه»[2].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مما يصفى لك وُدَّ أخيك: أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له فى المجالس»[3].

وقال الأصمعى: «كان الأحنف إذا أتاه إنسان وسَّع له، فإن لم يجد موضعًا تحرك، ليريه أنه وسع له»[4].

* * *

(١) سورة المجادلة: الآية: (١١).
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٨٤٦).
(٣) «أدب المجالسة» (ص ٣١).
(٤) «عيون الأخبار» (١/ ٣٠٦).

وأخيرًا

وأخيراً: فإنى أسأل الله (جل وعـلا) أن يرزقنى وإياكم حُبَّه وحُبَّ من يحبه وحب كل عـملٍ يقربنا إلى حبه . . وأن يرزقنا حُب عبـاده الصالحين فى كل زمان ومكان وأن يجمـعنا بهذا الحب يوم القيامـة فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله . . إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار



الفهرس

الفهرس

* * *


من إصداراتنا
فتاوى الحج والعمرة
شرح كامل لمناسك الحج والعمرة
س و ج
مسك الختام
ساعة وساعة
نوادر وعجائب
صحابيات حول الرسول
موسوعة الحقوق الإسلامية
موسوعة الزواج الإسلامي السعيد
تحذير الساجد من أخطاء العبادات والعقائد
الشيخ محمود المصري أبو عمار
لا تحزن وابتسم للحياة
رحلة إلى الدار الآخرة
سيرة الرسول
أصحاب الرسول
محمود المصري
يوسف الأحلام
فتاوى الناس
فتاوى الصيام و فتاوى معاصرة
فتاوى الناس
رفقاً بالمخطئين
كيف نتعامل مع أخطاء الناس
تفسير جزء عم
القواعد الذهبية لحفظ القرآن الكريم
قصص الرسول
للأطفال
قصص القرآن
للأطفال
حكايات عمو محمود
للأطفال
الشيخ محمود المصري أبو عمار
قصص الأنبياء
للأطفال